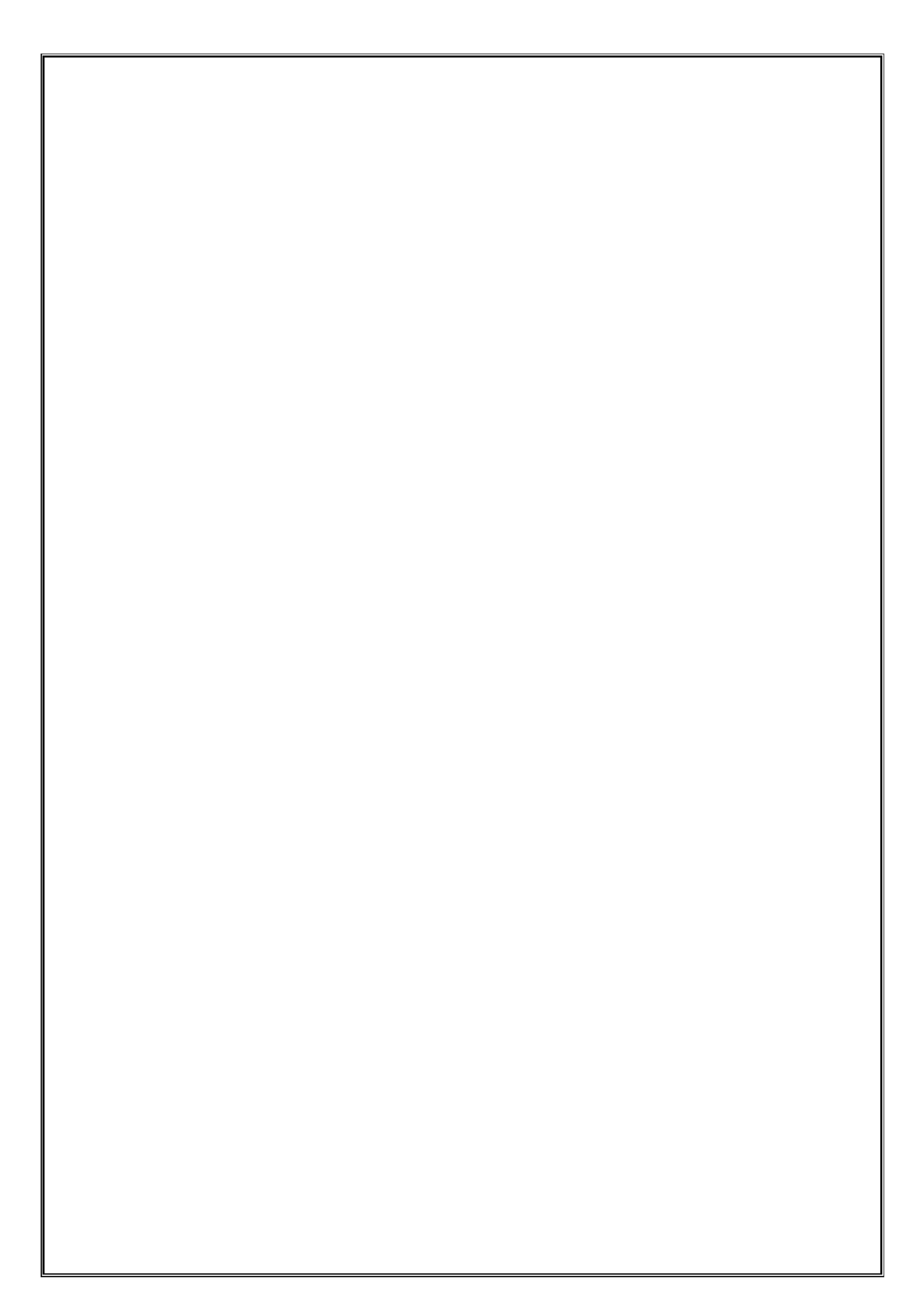
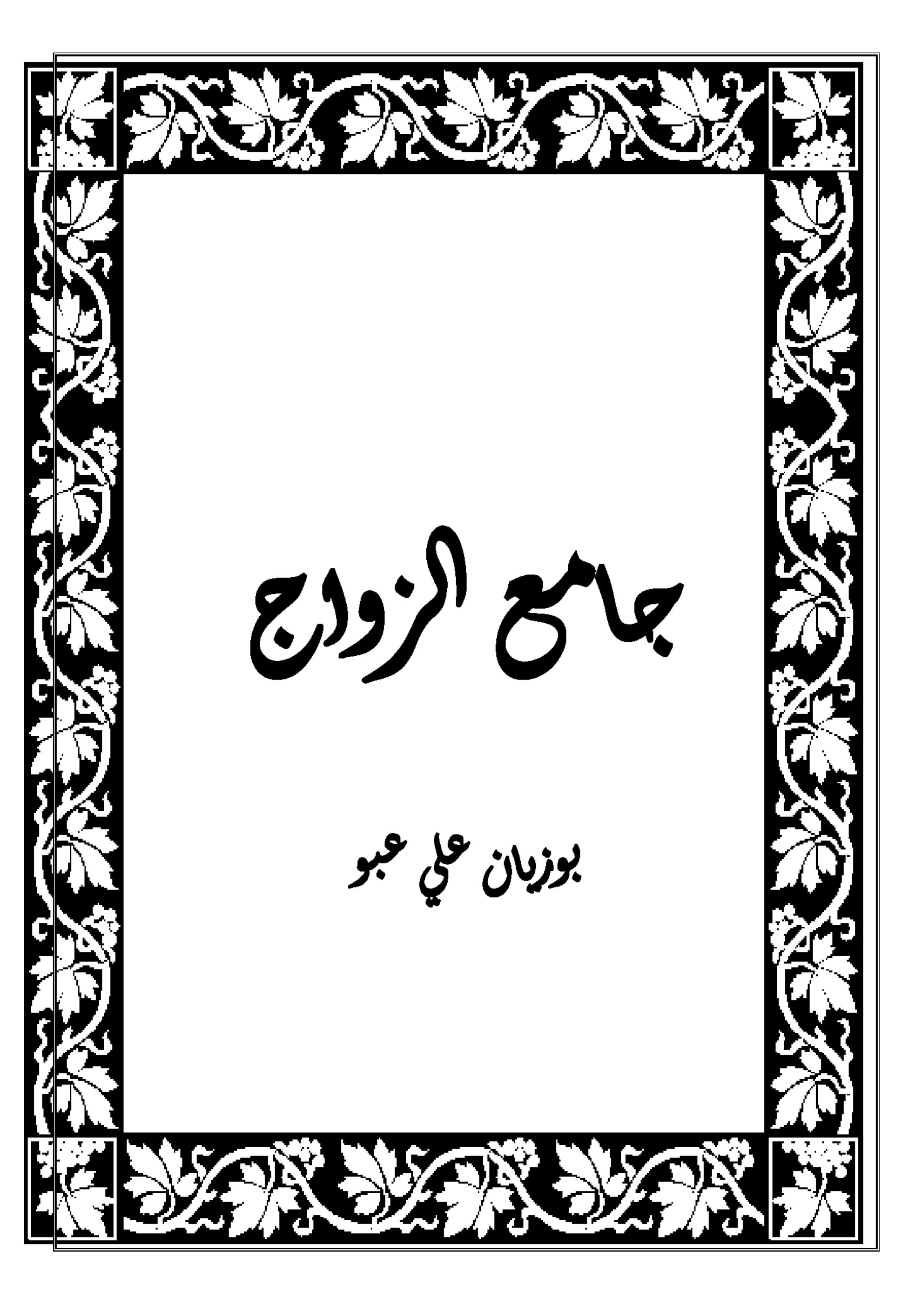




جامع الزواج

بوزيان علي عبو

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21))) سورة الروم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ،من يهده الله فهو المهتدي و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ،و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه وسلم .

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102))) سورة آل عمران

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1))) سورة النساء

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71))) سورة الأحزاب

أما بعد:

فالحمد لله الذي شرع لعباده الزواج و جعله عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه ،فالزواج إمتثال لأوامر الله و هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو وسيلة لجمع الحسنات ،فإن الزوج إذا وضع اللقمة في فم إمرأته فله بها صدقة ،و إذا أتى زوجته فله بذلك صدقة ،و إذا رزقه الله بالذرية

الصالحة فكل عبادة يفعلونها تكون في ميزان حسناته هو و زوجته،بل إنه ينتفع بأولاده في الدنيا و الآخرة.

ففي الدنيا ينفعه الله بصلاح ولده فيكون عونا له في شؤون حياته كلها....و أما في الآخرة فإن الرجل يفوز بدعاء ولده له بعد موته ،فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إذا مات إبن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :صدقة جارية ،أو علم ينتفع به،أو ولد صالح يدعو له"رواه مسلم

-بل إنه لترفع درجة الرجل في الجنة بإستغفار ولده له،فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن الرجل لترفع درجته في الجنةفيقول :أنّى هذا ؟فيقال:باستغفار ولدك لك"رواه ابن ماجه و صححه الألباني.

بل إن الزواج هو اللبنة الطيبة التي من خلالها نستطيع أن نبني أسرة مسلمة تكون نواة لأقامة المجتمع المسلم،فإن الأسرة هي المحضن التربوي الذي يتربى فيه أبناؤنا على النبعين الصافين :على كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكونوا من عباد الله الصالحين و ليحملوا مشعل الهداية للكون كله.

و من أجل ذلك كان لابد من إلقاء الضوء على موضوع الزواج من أوله إلى آخره بكل تفاصيله و ليعلم الجميع كيف كان هدي رشول الله صلى الله عليه وسلم في كل مرحلة من مراحل الزواج فلقد وضع الإسلام القواعد الثابتة للحياة الزوجية و أحاطها بكل عماية ،فلم يترك جانبا منها إلا و قد نعرض له و بين لكل من الزوجين ما له و ما عليه ،و حذر من كل ما يكدر العلاقة الزوجية وقاية

و علاجا ،و غاية الإسلام من كل ذلك القضاء على كل ما يهدد الحياة الزوجية ،و جعل أحكاما أيضا في حال إفتراق الزوجين ليحفظ لكل طرف حقه .

إن الإنسان مخلوق كباقي المخلوقات التى خلقها الله تعالى و الحمدلله أنه فضله على جميع المخلوقات إذ جعله المحور الأساسي في هذا الكون بحيث جعل باقي المخلوقات تصب فيه وبمحيطه وبوسطه،الكل حسب الوظيفة التي كلف بها من الله سبحانه وتعالى، وسخر له هذه المخلوقات ليكون وجوده وعيشه و استقراره وتكيفه كاملا مريحا و غير منقوص ، وهذا ليكون خليفة بحق فوق هذه الأرض لأن الله جعل له هذه المرتبة الخلافة في هذه الأرض ولأجلها وفر و هيأ له كل الظروف الملائمة لها ، فسبحانه من إله حكيم وعليم وخبير بشؤون عباده، وهذا مما جاء به في سورة البقرة ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَة(30))) وبالتالي سخرها له كفراش ومأوى ومستودع،و وفر له كل ما يلزمه لهذا الغرض وهو أعلم سبحانه بما يلزمه.فسخر له اللحوم بمختلف أنواعهاسواء منها البرية أو المائية((وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ (06))) سورة الزمر، من الضأن والمعز و البقر و الإبل،ولحوم الطير ومن البحرلحوم الحوت((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا(06)))سورة النحل،ومن النباتات والحبوب بمختلف أصنافها والفواكه بمختلف أنواعها وأذواقها لقوله ونفضل بعضها على بعض في الأكل،ومن الخضر سواء فوق الأرض أو في الأرض لقوله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ، هذا نمط العيش، أماعن تسخيرله من ظروف الحياة ، سخرله الشمس والقمر و النجوم ليهتدي بها فقال سبحانه ((فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا

في ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونا(97))) سورة الأنعام ، وسخر له الأنعام التي قال عنها سبحانه وتعالى((وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(06))) سورة النحل ، إلى غير ذلك من العطاء الذي لا يحصى عدده كما قال تعالى ((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا(34))) سورة إبراهيم ، وهذا من فضله وكرمه علينا فلك الحمد والشكر على ما اخترته لنا من عيش.

وزيادة على هذا التسخير فجعل هذه الأرض الشاسعة نعيش ونستقر فيها أين مانشاء في أي بقعة من بقاعهاحيث ما نشاء في سورة النساء عندما ترد الملائكة غدا يوم القيامة على المستضعفين في الأرض((قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا(97))) سورة النساء،لم يقيد الإنسان بمكان معين بل جعل له الحرية التامة للتنقل وهذا ليتم من خلاله إعمارالأرض لقوله تعالى ((وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا(9))) سورة الروم.والإعمار يكون بتكاثر البشر، و هذا لا يتسنى إلا بالترابط أي الزواج و لا يكون إلا بين الذكر و الأنثى وهو الطريق الوحيد لا ثاني ولا ثالث .ونتيجة هذا التزاوج و الترابط يكثر النسل وبالتالي يكبر العدد و تنتشر البشرية في كل مكان عبر هذه الأرض الشاسعة. وهنا لا يفوتنا أمرين إثنين :

أولا إن الإعمار لا يقتصر على فئة أو على أمة معينة و لايكون إعمارا مؤبدا ولكن يكون بالتعاقب وتخلف بعضها بعضا، وكل ذرية آدم عليه السلام تمر بهذا المسعى، وكل واحد يأخذ نصيبه من الخلافة عليها الذي كتبه الله له من أجل مسمى. وجعل لهذا المسعى حاكما صارما وهو الحياة والموت ،ما أحكمك ياخالق.

ثانيا إن ذرية آدم منذ نشأتها تعد بالملايير ولا يحصى عددها إلا هو سبحانه كما قال و أحصى كل شيء عددا, وكل هذه التحركات و التغيرات في المجتمعات من حياة و موت إلا انه كل شيء يسير بنظام محكم كما قال وكل شيء قدرناه تقديرا ولكن هل وقفنا على هذا التقدير البديع والمبهر؟ لا والله، وقد قالها لنا الله وما قدروا الله حق قدره.

وخلاصة القول فوجود الإنسان فوق هذه الآرض وقتي مهما عمر فيها سواء كفرد أو كمجتمع أو كأمة، بل البشرية كلها تقاس عمرها بعمر الحياة الدنيا.

ومن أجل هذا الخلق العجيب خلق الله عنصرين أساسيين هما الذكر والأنثى، وبما أن الإنسان مصدر خلق من خلق الله فلابد من إلقاء نظرة وجيزة على خلق الله ونقول ما الخلق ؟

ما الخلــق

- الخلــق
- التسوية
- التقدير
- الهدى

الخلـق

1- الخلق: تعريف

الخلق هو فعل لا يقوم به ولا يقدر عليه إلا الخالق أي الرب الذي إسمه الله.

الخلق هو وجود الشيء،أي شيء في هذا الكون مهما كان نوعه وحجمه وكبره وصغره ولونه وتركيبته و وظيفته. وكل مخلوقات الكون كانت منعدمة تماما لا وجود لها سواء كان هذا في الحقيقة أو في التخيل أو التصور قبل الوقوع وبأمر من خالقها أصبحت موجودة حقاوأصبح لها أثر، وحتى الشيء المخلوق لا يعلم ولا يحس بأنه سيخلق أي سيوجد ، بل الأمر كله مسلم و راجع بالضرورة إلى الخالق سبحانه وتعالى وقد أ كد لنا الله عزوجل في سورة الكهف((مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا(51)))، إذ في عهد ما من الزمان لم يكن مذكورا وذكرّه بهذا في سورة مريم ((أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا(67))) ثم في سورة الإنسان((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(01))) آت في زمن ما قبله وقبل خلق آدم عليه السلام ،فالإنسان لم يكن له أ ثر لا في الإسم ولا في الصورة، هذا من حيث جنس وأصناف الأشياء وهو خلق الإنسان كإنسان أي الإنسانية أو البشرية ، وإنما إذا أردنا أن نعرف خلق الإنسان كعنصر، فلنأخذ المثال التالي وهو مثال حي ومعاش بيننا : عندما يتزوج رجل ما بإمرأة ما، هل يعلم هذا الرجل وهل له اليقين بأن بعد هذه الرابطة سيكون له أولاد؟ هذا أولا ، وإذا إفترضنا أن يكون له أولاد هل يعلم ماذاسيهبه الله من ذرية أولا كمجموع الأولاد؟

وهل سيكون له ذكورا فقط أو إناثا فقط وكم عددهم؟ ، أو ذكورا وإناثا وعدد كل جنس منهم ،وكيف يأتون ومتى يأتون وكيف هي صورهم؟ إلى غير ذلك ، بل كل هذا يكون منعدما تماما أي لم يخلقوا. وضرورة ما تقدم ماجاء في الآية الكريمة التى بشر بها زكرياء بيحيى عليهما السلام ((وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا(08))) سورة مريم . وكذلك الإ سم كإسم يحيى فقال سبحانه ((اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا)) .

وليكن في علمنا أن خلق الله هوكل شيء موجود فيي هذا الكون وخارجه ،وكل شيء موجود سواء كان حيا يتحرك أو جمادا وسواء كان يرى أو خفي وسواء كان يمس أو يرى و سواء كان حسي أو مادي وكل الأشياء التيي نعلمها أولا نعلمها فهي مخلوقة من رب أي خالق.والإيمان بالله هو أن المؤمن يدرك أحسن إدراك بأن وراء هذه المخلوقات وهذا الخلق العجيب بمختلف الأشكال والألوان خالق واحد إسمه رب العالمين وهو الله وهو وكيل على كل ماخلق حيث قال تعالى ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(62))) سورة الزمر، و قال تعالى في سورة غافر ((ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُون(62)))، لكن لا تفوتنا هاتين الآيتين وهو أنّه تكررت كلمة في الآية الأولى مرتين وفيي الثانية مرة واحدة، ألا و هي "كل شيء" ونركز على"كل " وقد تم التطرق إليها في موضوع آخر وعرفنا مغزاها وهي في حد ذاتها كلمة جد صغيرة تتكون من حرفين فقط ولكن لها شأن عظيم جدا ، فإنها تزن وتعدل وتجمع كل ما ذكر من أسماء بعدها و هنا الإسم المذكور بعدها هو شيء،معنى هذا فكل شيء موجود في السموات و الأرض وما بينهما فالله هوخالقه، فسبحانه من إله عظيم الشأن.وهذه لكلمة عندما ينطق بها الله تعالى فمعناه أنه ليس فيه

إستثناء،أي لا شيء ينفلت من هذا الحكم الرباني، فالجميع خاضع لهذه الإرادة الإلهية و الكل يمتثل بين يديه.وأترك الذي له وقت في التأمل لهذه الكلمة كل التي ذكرها الله في واقعة الموت كل نفس ذائقة الموت وفي الفناء وكل من عليها فان وفي حتم الآجال وكل يجرى لأجل مسمّى وفيى حساب النفس كل نفس بماكسبت رهينة .. تأمل أيها المؤمن فيها.ولابد من تنبيه على شيء آخر كثير منا غافل عنه وهو كل من يبدعه ويخترعه ويصنعه الإنسان، الله جل جلاله هو خالقه لأن كل هذا يرتكز على ثلاثة أشياء وبدونهم يستحيل وجودها ولو إجتمع الإنس جميعا لما حققوا شيئا ولو بمقدار ذرة واحدة وهي الإذن والترخيص من الخالق وتسخير منه وليعلم الإنسان، إنسان اليوم أن الله فضل هذه الأمة، أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم،ومن بين هذا التفضيل العلم حيث سمح لهم بغزو الفضاء وبإذنه توصل إليه لقوله تعالى في سورة الرحمن((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ(33))) أي بعلم وكذلك لما سئل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن الروح لم يعطيه الجواب الكافي لأن الروح خاص به ومن أمره لأنه لو أجابه لأصبح الإنسان يتحكم في الروح ثم قال تعالى ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(85))) سورة الإسراء،والعلم الذي نحن عليه اليوم إلا القليل من علم الله ولسنا ندري مارخص لنا مستقبلا فلك الحمد و الشكر على ما أوتيتنا من علم ،إذا من رخص لنا هذا إنه الله.

- ثانيا فالإنسان بما وصل إليه من إنجاز لهذه الإختراعات و هذه الرفاهية وهذا الإزدهار فبالعقل المدبر أو سموه العبقري إن شئتم، من خلقه ووضعه فيه إنه الله.

- ثالثا المادة أوالمكونات التى تصنع بها ومهماكان نوعهاهل الإنسان خلقها أو من خلقها إنه الله سبحانه وتعالى. هل حمدناه وشكرناه على هذه النعمة العظيمة؟ وهل نسينا قوله عز و جل((وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ(53))) سورة النحل؟ ، والعلم نعمة من نعم الله . ووجب على المؤمن أن لا ينسى هذا بل وجب عليه كلما توفرت لديه أي نعمة يتذكر خالقه وخالقها يحمده ويشكره ولا ينبهر في غيره واسمحوا لي أجيب للذين يقولون إن القرآن تجاوزته الأحداث والزمان وهذا جواب لهم للذين هم فيه من العلم ألم يأتي في القرآن ما تقوم به من عبادات أليس هو آ ني ......

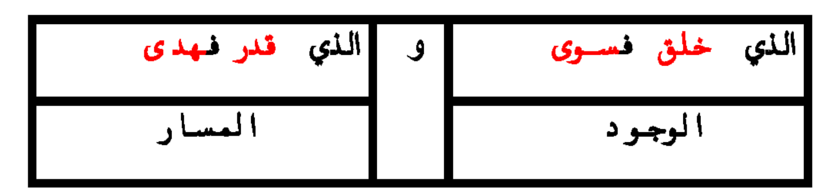
والخلق يمر بمرحلتين أساسيتين ، وكل مرحلة تحتوي على قسمين :

المرحلة الأولى : الوجود

المرحلة الثانية : المسار

ففي المرحلة الأولى يبدأ فيها الخلق ثم تأتي بعده التسوية،وفي المرحلة الثانية يكتب التقدير ثم يأتي بعده الهدى .

وهذا مصداقا لقوله تعالى في مطلع سورة الأعلى : ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى(2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)))



الذي خلق فسوى	و	الذي قدر فهدى
الوجود		المسار

وبهذا المنظور، فخطوات الخلق تكون متسلسلة كالتالى :

الخلق ← التسوية ← التقدير ← الهدى

وكل هذه العمليات تكون كنظرة خاطفة لقوله وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر .

2 - التسوية :

فبعد الخلق تأتي التسوية لقوله تعالى في سورة الإنفطار((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7))) وقال تعالى عن آدم عليه السلام في سورة ص ((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(72))) ، وقال كذلك على لسان أحد الرجلين لصاحبه وهو يحاوره في سورة الكهف((قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37))) فتسويته كما جاء في خلقه أي بعد تصويره والكيفية التي أرادها فيركبه بدقة ملائمة له وعلى الحالة التي أنشيء بها لقوله عز و جل ((الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(8))) فلا ترى خللا كما قال سبحانه في سورة الملك ((الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ(4))) ،وهذا الإنطباع هنا يخص خلق السموات السبع وهي أعظم المخلوقات لقوله تعالى في سورة غافر((لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(57))).

والتسوية تعني كذلك أنه يجعل الشيء المخلوق متناسب الأجزاء أي فيجعله معتدل القامة وتام المنافع .وسيأتي فيما بعد تبسيط في تعريف التسوية .

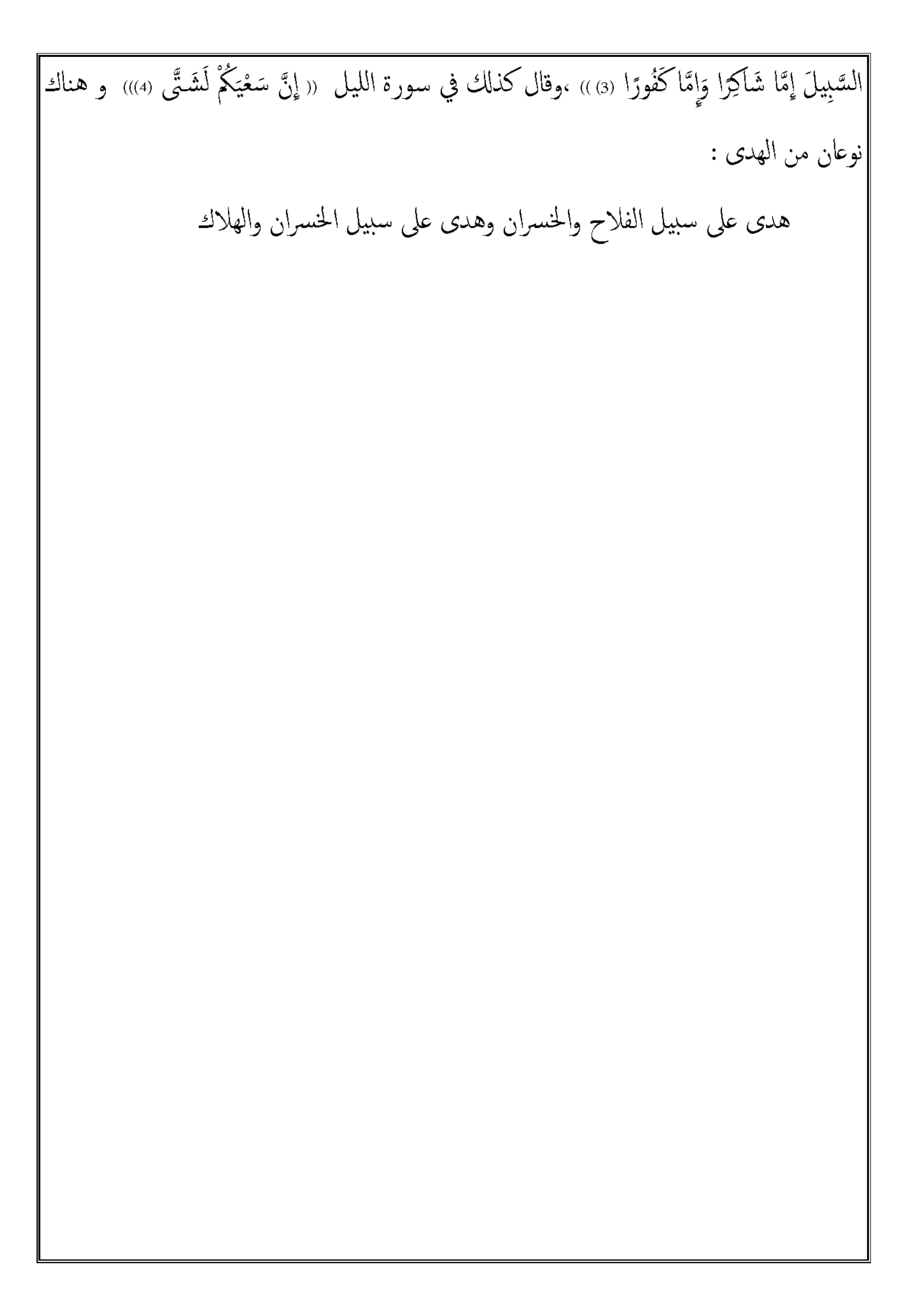
3 – التقدير:

يأتي بعد تسوية الشيء كاملا غير منقوص ويجعله جاهزا لأداء الوظيفة المكلف بها،فيقدر له ما يشاء حسب ماخلق من أجله .والأجل هو وقت بداية مسعاه ووقت نهايته لقوله تعالى مخاطبا الناس في سورة المرسلات ((أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ

مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23))) ، إذا فالله يقدر لكل المخلوقات من أنواعها و أشخاصها و مقاديرها و صفاتها و أفعالها وآجالهاو أحواله، إلى غيرذلك وكما قال على فعله هذا وكل شيء قدرناه تقديرا وقال كذلك إنا كل شيء خلقناه بقدر .

4 - الهدى :

وهو الإرشاد ما قدره لصالح الشيء الذي خلق من أجله ، فيصبح هذا الشيء المخلوق يسير بإرادة الله سبحانه وتعالى،حسب الحاجة التي خلق من أجلها أي المنوطة به،أي يعطيه الإذن بالإنطلاق مؤديا الوظيفة التي سنها الله كما قدرها له،وطبعا كل مخلوق له مزايا ومنافع وأضرار وأفعال وكل يؤدى وظيفته المخصص له الشمس تؤدي وظفيتها و القمر نفس الشيء وهكذا جميع المخلوقات فكل مخلوق له مصيره. هناك نوعان من الهدى فبالنسبة للجمادات والكواكب فهديها ثابت إنها منذ إنطلاقها بإذن ربها ،فهي تمشي بإستقرار تام لا تغيير ولا تعطيل ولا توقف،فمثلا الشمس هل منذ أن هداها الله إلى سبيلها هل توقفت أو تغيرت شكلا ومضمونا أو إنحرفت عن المسار الذى سطره الله لها أو زادت في أوقاتها أو نقصت منها فبقت على حالهاحتى يأتى أجلها ونفس الشيء عن القمروجعل لكل واحد منهما مدارا لا ينبغى لهما أن يلتقيا أو يصطدما وقال في هذا الشأن في سورة يس ((لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(40)))سبحانك ربي ماعرفنا قدرك. وبالنسبة للأنعام هداها لمراعيها،والدواب لمعاشها ومصالحها،وللأشياء الأخرى للوظائف التي خلقت من أجلها كالنجوم والبحار والأنهار والهواء ....أما الإنسان هداه على سبيل الخير و الشر يقول المولى عز وجل في سورة الإنسان((إِنَّا هَدَيْنَاهُ



السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)) ،وقال كذلك في سورة الليل ((إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4))) و هناك نوعان من الهدى :

هدى على سبيل الفلاح والخسران وهدى على سبيل الخسران والهلاك

الإزدواجية

- تقديم

- أنواع الإزدواجية

- الزوجان المتكاملان

- الزوجان المتعاكسان

تقديم :

فليعلم الإنسان أن هذا الكون الذي نعيش فيه فهو مخلوق ومؤسس على شكل أزواج أو زوجية أو إزدواجية، إزدواجية الأشياء،فتتماشى زوجين زوجين في تناسق وترابط وتكامل ومعاكس،خدمة أيضا للمصلحة المشتركة العامة،وهذا الغرض فيما بعد إن شاء الله. وهذه الحقيقة أى الزوجية أو الإزدواجية تظهر وتبرز من خلال بيانها وقد نبهنا الله إليها،وهذاعن طريق كتابه وهو القرآن الكريم الذي يحتوي على آيات بينات كثيرة تبصرالغافل عن خلق الله وتنير له هذا القضاء الرباني بثوابت متينة لا يدخل فيها شك أو تأويل ولا إلتباس،ثم بفضل هذه الآيات البينات وللذي يريد أن يتأمل ويتفكر في مخلوقات الله،فيقف على الدلائل والبراهين فيدل أن هذاحق وأنه واقع في كل ما خلق الله من خلائق وأنه واقع في كل المخلوقات، يقول الله في سورة يس((سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36))) ثم قال في سورة الزخرف((وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ(12))) ثم جاءت آيات شملت كل خلقه وهذافي سورة النجم((وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49))) .وهذه الآيات الثلاثة التي ذكرت هنا،إحتوت على كلمة تكررت فيها جميعاوهي كل(وقدسبق أن تعرفنا على مغزاها).إذا في هذه الكلمة تنفي كل شك وتبرز الحقيقة وهي أن كل المخلوقات على شكل أزواج ليس هناك إستثناء.فجميع ماخلق الله يخضع لهذه القاعدة الأساسية لتركيبة هذا الخلق والذي لا مفر منه. هذه الإزدواجية تخص الكون كله الذي نعيش فيه وما يحتويه من مخلوقات التي نعلمها و التي لا تعلمها كما جاء في الآية التي ذكرت آنفا من سورة يس....و مما لا يعلمون. حتى أن هناك بعض الأشياء

الخاصة بالخالق خلقت على شكل زوجين كالعرش و الكرسي و اللوح المحفوظ و القلم و هذا كعينة فقط،و هذا القضاء الرباني يشمل كما سبق الذكر كل ما خلق الله من أشياء حية و جامدة و مرئية و سمعية و حسية و روحية و غيرها من الأشياء التي هي في علمه.

وتلك هي بعض النماذج :

السماء والأرض	**الشمس و القمر**	**الليل و النهار**
الجن والإنس	**الذكر و الأنثى**	**الرجل و المرأة**
الموت و الحياة	**الجنة و النار**	**الماء و الهواء**
الأكسجين والكربون	**البر و البحر**	**النور والظلام**
الجبل والسهل	**البحر و النهر**	**الإيمان و الشرك**
الهدى و الضلال	**البصر و العمى**	**السمع و الصم**
النطق و البكم	**الحلال والحرام**	**الزواج و الطلاق**
الحسنات والسيئات	**السر و العلانية**	**العطاء و الحرمان**
الكرم و البخل	**الفرح والحزن**	**الضحك و البكاء**
الصدق و الكذب	**الحلو و المر**	**العذب و المالح**
الجمع و التفرقة	**الطاعة والعصيان**	**السلم و الحرب**
النجاة و الهلاك	**التسامح و العقاب**	**القوة و الضعف**
الحب و الكراهية	**الأكل والشرب**	**الطيب و الخبيث**

الصبرو القلق	**الضياء و النور**	**الربح و الخسارة**
الفلاح والخسران	**النجاح و الرسوب**	**الفرض و النافلة**
النصر والإنهزام	**الزيادة و النقصان**	**الغنى و الفقر**
الزكاة و الصدقات	**الحج و العمرة**	**الواجب و التطوع**
العافية و المرض	**اليمين و اليسار**	**الأكبر و الأصغر**
الواسع و الضيق	**الأمام و الخلف**	**الطلوع و النزول**
الأعلى والأسفل	**العفو والإنتقام**	**الرأفة و القسوة**

وا لقائمة طويلة يستحيل سرد كل الأشياء المخلوقة وهذا زيادة على الأشياء المتشابهة كليا، مثلا أعضاء جسم الإنسان :العينين - الأذنين – اليدين ......

-أنواع الإزد واجية :

إن في الإزدواجية ذاتها نجد نوعتين أو صنفين أو زوجين :

- زوجين متكاملين
- زوجين متضادين

-الزوجان المتكاملان :

القسم الأول يحتوي على زوجين كل عنصر أي زوج يختلف عن الآخر، وكل واحد منهمايؤدي وظيفته الخاصة و يكتملان في الهدف ألا وهي الوظيفة المشتركة. وهذا الصنف خلقه الله من البداية أي بداية خلقه مكون ومرتب وجاهز لأداء الوظيفة المكلف بها ويسعى إلى بلوغ الهدف المنتظر منه. وعلى سبيل المثال:السماء والأرض، هذان الزوجان هل هما من طينة واحدة وهل

هما من نوع واحد وهل لهما نفس الشكل؟ فهما متباعدان كل البعد عن بعضهما البعض،ولكنهما زوجان متكاملان ويهدفان لهدف واحد. ماهو هذا الهدف الذي يجمعهما؟يقول سبحانه وتعالى في هذين المخلوقين العظيمين : ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً(21))) سورة البقرة وقال كذلك في سورة الأنبياء ((وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا(32))) . إلى مايرمز السقف والفراش إلى البيت طبعا،بيت لمن ؟لمن جعل الأرض فراشا ولمن جعل السماء سقفامحفوظا طبعا لمخلوقاته الموجودة فوق الأرض إذا فالهدف المشترك بين السماء والأرض هو أنه يكون بيت الحياة الدنيا ومأوى لخلاقها. والنتيجة أن السماء و الأرض متكاملان في الهدف. ويدخل في هذا النوع الأزواج التالية :

الشمس والقمر– الليل والنهار – الماء والهواء – السمع والبصر – الأكل والشراب – النوروالظلام – الدنياوالآخرة – الغنى والفقر– الجن والأنس – الذكر والأنثى - الرجل والمرأة ..والنماذج كثيرة فعلى المؤمن أن يتمعن في خلق الله ...

أما القسم الثاني من الأزواج المتكاملة فتختلف عن الأولى في النشأ ، وهي تشمل الكائنات الحية، فيخلق كل واحد على حدى وبعد فترة من الزمن أين يتم فيها نمو كل فرد ويأبلغ أشده حينها فقط يتم التزويج أي دخول في نمط الإزدواجية وفي هذا النوع يدخل الإنسان وتكوين الزوجية يكون عن طريق الزواج بين الرجل والمرأة. وسيتم توضيح أكثر لهذا الموضوع فيما بعد. وهنا كذلك في هذا النوع كل عنصرمن الزوجين يأتي بوظيفته ويلتقيان في هدف واحد وهوالهدف المشترك .

- الزوجان المتضادان :

الزوجان المتضادان أو المتعاكسان فهما زوجان متكونان من عنصرين طبعا ولكنهما يتعاكسان في الوظيفة ولكنهما يشتركان في الهدف. كيف؟ فكل عنصر متهما له دوريعاكس دورالآخر و يلتقيان عندالأهداف المشتركة .ولتوضح أكثر نأخد على سبيل المثال الجنة والنار لايمكن للزوجين أن يلتقيان فالجنة لها نعيمها والنار لها عذابها هل النار و العذاب يلتقيان؟ لا لأن الجنة جعلها الله للمؤمنين الصادقين وهي مأواهم غدا يوم القيامة والنار جعلها الله للكافرين وللعصاة، فهذه وظيفة كل واحد منهما،وطريقهما مختلفان،لكن مع كل هذا يلتقيان في نقطة واحدة وهو جزاء الآخرة:

الجنة للمؤمنين

ا لنار لكافرين ← جزاء ا لآ خرة

وهذه بعض النماذج للزوجين المتعاكسين :

الخير والشر **اليمين واليسار** **الهدى والضلال** **النجاة والهلاك** **السلم والحرب**

- الوظائف المشتركة :

كما رأينا فإن كلامن الزوجين المتكاملين والزوجين المتضادين ينشطان لهدف واحد مشترك بينهما ويجتمعان على أدائه.فالزوجان المتكاملان كما رأينا تربطهماعلامة التكامل،فكل زوج منهما يأتي بقدر ما قدر له الله وما أوتي منهما وبينهما يجعل الهدف العام أهم وأسمى وذات منفعة عامة. فهذا الزوج يأتي بشيء مخصص له والزوج الآخر يأتي بشيء متكامل لشيء الأول هكذا يؤديان وظيفتهما، وهما يمشيان جنبا إلى جنب في تناسق و إرتباط دائم وإلا فينهار كل شيء. أما الزوجان المتضادان،فكل زوج يسعى لطريقه الخاص ويختلف تماماعن مسعى الزوج الآخر، وكلاهما يهدفان إلى هدف واحد وهو الهدف العام،فمثلا: الطاعة والعصيان فيمايخص الله. فطريق الطاعة

يختلف تماما عن طريق العصيان. فالأول يؤدي إلى الجنة والثاني يؤدي إلى النار لقوله تعالى ((وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ))...... ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا))

وهدفهما المشترك هو جزاء الآخرة الذي هو الجنة والنار .

طاعة الله ورسوله ← **الجنة**

عصيان الله ورسوله ← **النار**

} ← **جزاء الآخرة**

وتلك هي بعض النماذج من الأهداف المشتركة :

-- الجن كائن خفي و الإنس كائن ظاهر و الأمر المشترك بينهما هو عبادة الله عز وجل

يقول الله تعالى ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))--

-- الليل سكن الخلق و النهار معاش الخلق و الأمر المشترك بينهما هو الزمن والحساب

يقول الله تعالى ((اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ)) و قال تعالى((وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا))

-- الشر ضرر و مساوىء و الخير نفع وحسن و الأمر المشترك بينهما هو إبتلاء وفتن

قال تعالى ((وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ))

-- الجنة لمن يخاف الله و الجحيم لمن طغى و الأمر المشترك بينهما هو مأوى الآخرة

قال تعالى ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى(37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41))) .

-- الذكر الزوج و الأنثى الزوجة والأمر المشترك بينهما هو التناسل و الخلفة قال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً))

وهناك بعض النماذج من الحياة العامة :

البيع و الشراء ←تداول التجارة ، الموت و الحياة ←أجل الخلائق، الدنيا والآخرة ←حياة الإنسان

فهذه كانت بعض الأمثلة لتوضيح الرؤيا.

ا لموجب (+) وا لسا لب (-):

هناك شيء واقعي وثابت وأساسي تبني عليه الزوجية أو الإزدواجية،فمن خلاب التمعن وتحليل كل زوجية على حدى،يظهرشيء بارز، وهو أن العنصرين المكونين للزوجية لا يتوفران على نفس القدرة و القوة والوظيفة. فنجد أن كل عنصريختلف عن الآخر، إذ يكون ذات أهمية أكبر من العنصرالثاني . وهما بمثابة التيار الكهربائي أي االموجب (+) والسالب (--)،وهما يمشيان معا،فإذاوقع إختلال في أحد عنصرمنهما ،توقف كل شيء ويذهب الهدف المشترك. لايمكن في أي حال من الأحوال الإستغناء عن عنصر منهما سبحانك من إله عظيم الشأن وما قدرناك حق قدرك

وهذه بعض النماذج :

الأرض (+) - الشمس (+) - الذكر (+) - الجنة (+)
السماء (-) القمر (-) الأنثى (-) النار (-)
الإيمان (+) - الخير (+) - الفرح (+) الغنى (+)
الشرك (-) الشر (-) الحزن (-) الفقر (-)
العطاء (+) - الكرم (+) - الحيا ة (+)- النور (+)
الحرمان (-) البخل (-) الموت (-) الظلام (-)
الحلو (+) - النهار (+) - الصحة (+) - الحب (+)
المر (-) الليل (-) المرض (-) الكراهية (-)
الزيادة (+) - الفلاح (+) - الأكبر (+) - العفو (+)
النقصان (+) - الخسران (-) - الأصغر (-) - الإنتقام (-)



- تقديم

- قدراته :

الإرادة - السرعة - الحاجة - التصور- التحول - الإبداع - الإتقان - الحركة – التسخير - الرزق- الغيب - الرحمة –القضاء - الآجال- العدل- الجمال– الكمال

من خلال تدبرنا وتفكرنا في مخلوقات الله جميعا،أجناسها و أصنافها، تبين لنا أنهاخلقت من أزواج كما أخبرنا بذلك خالقنا، وكما تابعنا أن عنصري الزوجية يمشيان معا لأنهما خلقا لهدف واحد مشترك بينهما ولا يمكن لأحد أن ينفرد وحده لبلوغ الهدف المشترك.وقد نبهنا الله عز و جل إلى ذلك حيث أعطانا مثلاعن الزوجين "النهار والليل" فقال عز من قائل في سورة القصص﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73)﴾، وهذه الآية الكريمة جاءت بكل وضوح حول الزوجية:

أولا تأسيسها وقيمتهاومكانتها في هذا الكون.

ثانيا يستحيل الفصل بينهما،حيث إذا إنعدم عنصر النهار من هذه الحياة أصبح الكون كله في الظلام فكيف سيكون حال هذه الحياة في الظلام والعكس صحيح إذا كان الدهر كله نهارا لم يكن للمخلوقات وقت للسكينة والراحة ولكنه سبحانه الرؤوف الحليم الرحيم لا يفوته شيء في شؤون خلقه، فبيّن بعد هذا الإستفهام وطمأن عباده أنه من رحمته أن جعل لهم هذا الزوجان ألا وهما الليل والنهار ليتمتعوا بوظائفهما .

ثالثا أنه بيّن لنا حقيقة وهي أن أي مخلوق لا يكون لوجوده فعالية لوحده في هذا الكون ، وهذا مقدر ومحكوم من عنده فهو سبحانه خلق و إختار وحدد نمط الحياة وهو القاهر فوق عباده، الكل مسلم بين يديه وكل المخلوقات كانت مسلمة ففعل بها ما يشاء و أول شيء يتبين لنا أنه لا أحد

حضر وقت خلقه وشهد كيفية خلقه فالكل آت طوعا كما قال سبحانه وتعالى((قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا(51))). سورة الكهف.

مثال ثاني عن عجز الفرد في إستحداث أي أمر منفردا هل إذا إنفردت الأنثى لوحدها هل تلد وتخلف؟ ونفس الشيء للذكر،فلابد للزوجين"الذكروالأنثى" للتناسل والخلفة، والغرض من ذلك أنه سبحانه وتعالى جعل الفرد لوحده منعدم القدرة وعاجز،و حاجنه حتمية لا إرادية إلى طرف آخر لينفرد هو سبحانه وتعالى بالوحدانية ولهذا سنتطرق ولو بإختصار إلى وحدانيته جل جلاله وعلى قدرته.

أولا فهو ليس بحاجة لغيره وليس له شريك معه حتى يعينه في أداء شؤونه.

ثانيا ليس بحاجة إلى شريك حتى يشركه في حكمه كما قال تعالى((وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)).

وتتجلى وحدانية الله في كل شيء فهو منزه عن كل المخلوقات، وهنا تفرض علينا وقفة حتمية أولا ((أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ)) أي أنه هو الخالق وبيده الخلق كله أما المخلوق معدوم القدرة ،ثانيا الخالق إذا أعطى فعطاؤه لا يعد ولا يحصى وفيه الإبداع فلا يمكن لمخلوق كالكائنات الحية أو النباتات إذا خلفت وبمساعدة غيرها فتخلف مثلها لاغير هذا أول الفرق بين الخالق والمخلوق هذا كان على سبيل المثال أما عن التشبيه فلا يمكن بل يستحيل تشبيهه بأي شيء لأنه أخبرنا سبحانه بأن ليس كمثله شيء ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(11))) سورة الشورى، إذ لا يمكن

للعقل المخلوق أن يتصور أو يتخيل خالقه فهذا غيرمعقول تماما، هذا بالنسبة للعقل، أمابالنسبة للعين فهولا يرى فشيء لم تراه العين كيف يمكن أن تتصوره؟فهذا المنظور يدخل في الايمان .

فائدة : "الايمان أن يؤمن المؤمن بوجود الله وصفاته التي لا تتم الألوهية إلا بها قال العلماء الايمان بالله جل جلاله بتضمن معنيين الأول الايمان بذاته والثاني بوحدانيته ، فأما الإيمان بهاته الآية الكريمة فهو أن تعلم أن ذاته تعالى لا تشبه الصفات وكل ما يتصوره الإنسان في ذهنه أو توهمه في وهمه، يبقى مجرد تصور و توهم مخلوق و الله جل جلاله تقدس وتنزه عن أن يحل في مخلوق أو يحل فيه مخلوق له جسم وجوهر وعرض ،والله بخلاف ذلك والإنسان له جنس والله لاجنس ولا نوع له.

هذه الوحدانية أوضعها الله وبينّها في عدة محاور في كتابه العزيز الحكيم. وهذه بعض الدلائل من صفته التي ذ كرها والتي هي للعاقل ثوابت حقيقية لاغبار عليها، إذ أنه لا يوجد مقارنة بين الخالق والمخلوق، فالأول قادر والثاني عاجز . وخير ما نبدأ به في التعرف على وحدانية الله تعالى سورة الإخلاص ،فهذه السورة قصيرة جدا تحتوي على أربع آيات فقط ولكن شأنها عظيم لأنها تعبر عن الإخلاص لله فقد روى البخاري من حديث أبي سعيد الخذري رضي الله عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها ، فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه و سلم ، فذكر ذلك له،و كأن الرجل يثقالها ،فقال رسول الله صلّى الله عليه و سلم:" و الذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن". . وهذا مما تميزت به من شرف لتطرقها إلى الخالق سبحانه تعالى،إذا تدبرها الإنسان واعتقدها إعتقادا حسيا ومعنويا وإيمانا عرف ربه- فهي الجمال لدلالتها على جمال الله أي إتصافه

بالكمالات وتنزيهه عن النقائص. وهي المذكرة لأنها تذكر العبد بخالص التوحيد، ونفت أصول الكفر

الثمانية:

التركيب والعدد___ النقص والقلة___ العلة والمعلول___ التشبيه والنظير

1 – التركيب والعدد فانتفاؤهما في قوله تعالى «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ومعناه لا إله إلا الله وحده لا شريك له

2 - النقص والقلة: النقص بمعنى الإحتياج والقلة بمعنى البساطة في قوله تعالى «اللَّهُ الصَّمَدُ» والصمد هو المقصود في الحوائج على الدوام لأنه متصف الكامالات، منزه عن النقائص فلا يقصد غيره ولاملجأ و لا منجى إلا إليه ،هذا القول الأول، أما الثاني وهو الدائم الباقي بعد فناء خلقه لقوله «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » وقوله تعالى «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) » سورة الرحمن،

3 - العلة والمعلول في قوله تعالى « لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» فهو منزه عن الشهوات الذاتية، لم يلد لأنه ليس له صاحبة أي زوجة فلاحاجة له بها حيث قال ولم تكن له صاحبة،وليس في حاجة إلى مجانسة أي لايحتاج لغيره لأن الولد من جنس أبيه والله لا يجانس أحدا لأنه واجد وغيره ممكن، ولأن الولد يطلب الإعانة من والده وليخلفه بعده والله غني عن كل هذا.فلايفنى ولم يولد ، لم يكن له أب ولا أم ولم يخلقه أحد.

فائدة: هذه الآية جاءت ردا على اليهود والنصارى والعرب :فاليهود و النصارى نسبوا له البنين ومشركوا العرب نسبوا له البنات سبحانه وتعالى وهذا ماجاء في كتابه العزيز الحكيم« وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ» و قوله « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ » و

جمع ذلك سبحانه في قوله تعالى ((وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)) .
وكل ما سواه يكون والدا أوا مولودا ،و كل مولود جسم محدث أي يخلق والله تعالى ليس كذلك.

4 - الشبيه والنظير في قوله تعالى ((وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)) والكفؤ يعبر عن الشبيه والنظير والمثيل ، المثيل هو المشارك في غالبها والنظير هو المشارك في أقلها و الله تعالى تنزه على ذلك كله.
ومن صفاته الأخرى السمع والبصر، سمعه وبصره ليس كسمع وبصر مخلوقاته حيث قال عن هذا ((وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) فسمعه سبحانه وتعالى يتعدى كل الكون وما بعده ودلالة سمعه نستدل بها من هذه الآيات الكريمات((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(1))) سورة المجادلة، هاهو يخبر نبيه ويخبرنا بأنه سمع ورأى كل ماجرى بين نبيه صلى الله عليه وسلم و خويلة التي جاءت تشتكي زوجها للرسول صلى الله عليه وسلم وهما صفتان مرتبطتان أي سمع وبصر حيث سمع وبصر من فوق سبع سموات وهما داخل بيتهما محيط بجدر ، وسمع إغاثة ذا النون وهو في بطن الحوت في ظلمات أعماق البحار((وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88))).سورة الأنبياء وقال تعالى ((لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ(181))) سورة آل عمران، والآيتان جاءتا بحالتين تنفيان كل ريب وتأويل،ردا على إفتراء اليهود، فالأولى بينت سمعه من فوق سبع سموات إلى الأرض ،والثانية تحدت هذا وبينت سمعه من فوق سبع سموات إلى أعماق البحار، هل بهذه الصفتين العظيمتين يحتاج إلى الجهر وإلى مكبر للصوت؟، كيف وهو يسمع دبيب النمل ويعلم

سقوط ورق الشجر، فهوسبحانه وتعالى لا يحتاج إلى وسيط ولا إلى مكبر الصوت ولهذا أرشد الدعاة عباده الذين يدعونه إلى خفض أصواتهم عند دعائه،لهذا وجب عند الدعاء أو غير ذلك خفض أصواتنا ،فأمرنا بأن ندعوه خفية أي سرار لا جهرا لأنه يسمع كل شيء ويعلم كل شيء فلاحاجة لنا لرفع الأصوات فهذا لا يليق به سبحانه،و هويعلم ما نحتاجه من عنده فلا تخفى عليه خافية، و التضرع له خفية وعدم الجهر أمامه سبحانه هو وقار وتذللا له سبحانه وتعالى، حيث جاء في الآية الكريمة ((ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(55))) فهذه الآية صريحة وواضحة جاءت بحالتين هامتين الأولى ألا وهي كيفية الدعاء بتضرع وخفية أي بخفض الصوت، والثانية من لم يمتثل لهذا الأمر أي يدعوه جهرا أو مستعملا شيئا يستعين به ليرتفع صوته أكثر فهو متعد على أوامر الله وسماهم الله بالمعتدين وسموهم العلماء رحمهم الله بالمتشدقين. وذكر الله عز و جل أمثلة حية، حيث أخبرناعن نبيه زكريا عليه السلام في سورة الأنبياء ((وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ(89))) ،وأمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال له ((وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205))) واذكر بأي نوع من الذكر كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك، وفي نفسك أي سرا، و دون الجهر أي منخفض الصوت وحتى في الصلاة أمره بأن لايرفع صوته أكثر من اللازم فجعل له ميزان لها فقال عز من قائل ((وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا(110))) . وكل منايعلم أن الدعاء عبادة كما قال سبحانه وتعالى قائلا ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60))) ، فكل واحد منا يتوجب عليه أن يتوجه إلى خالقه يتضرع ويطلبه خفية ويدعوه وهو خاشعا ذليلا عارضا حاجته طالبا من ربه قضاؤها ومطمئنا لذلك،

- من صفاته العلا أنه يعلم ما في صدورعباده زيادة على ما ينطقون به، ويعلم حتى سقوط ورق الشجر والتي لانبالي بها فهو يعلمها ولا يخفى عليه شيء في ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس لقوله تعالى ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(59))) ، ويعلم حتى وسوسة النفس لقوله ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ(16))) ويعلم غيب السموات والأرض لقوله((لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) ....

- الحي القيوم إنه الحي الوحيد الذي لايموت،فهو الحي الدائم فحياته ذاتية له والقيوم هو من صيغة المبالغة المبالغ في القيام في تدبيرخلقه أي فلا يشغله شأن من شأن ولا تخفى عليه خافية كما قال ((لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ))، والسنة هي النوم في العين وأكد في زيادة كلمة النوم، والنوم هو فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك،إذ هو متنزه عن النوم .

فائدة: إن قلت أن الملائكة أيضا لا تنام فليس في ذكر هذه الصفة مزيد مزية، أجيب بأن تنزه الملائكة عن النوم من إختيار الله فقط، فهذا صنف من المخلوقات خلقت لأداء وظيفة إستمرارية كتسبيحه وتهليله بدون إنقطاع،الكل يسبح والكل يكبر وبذلك إستحق تكبيره الله أكبر كبيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .ووجب التوكل على الحي الدايم لقوله تعالى ((وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)) .

- وإنفراده عن المخلوقات أنه لايطعم ولا يطعم،فسبحانه لايحتاج إلى طعام ليعيش بل هو الذي يرزق مخلوقاته ويسخر لهم أنواع الطعام التي لا تعد ولا تحصى لأن بدونها فسيهلكون وهو لايريد منها شيئا حيث قال ((مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)))

- من إنفراده كذلك أنه ((لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(103))). لا أحد من مخلوقاته أدركه أي رآه ولايراه أحد بل هو راقب عليهم وترك سبحانه وتعالى النظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة.

وهناك حقائق ودلائل وعلامات أسمى تدل على أنه بحق واحد أحد وهي القدرة بحيث جعل الضعف والخضوع لأوامره لكل المخلوقات حيث جعل العجز فيهم، وأعطانا مثلا حيا في ضعف الإنسان المغرور، ضعيفا إلى أقصى درجة بحيث أن كائنا صغيرا جدا يأخذ منه رزقه أي طعامه ولا يستطيع أن يرده منه أو يفعل شيئا ولربما الإنسان لايبالي بهذا فذكره به لعلّه يتعض ، قال تعالى ((وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74)))

وفي قدراته تتجلى فيه صفات ينفرد بها لوحده ويحق بنا أن نتعرف على بعض من هذه القدرات لأن مجالها واسع. وهذه القدرات ليس لأحد غيره ولايقدر عليها أحد لأنها مستحيلة وغير ممكنة ولو إجتمع الجن والإنس لماأتوا بذرة منها.وبعد ما تعرفناعلى قدرات الخلق وأنواعها تأتي بعدها

قدرة الإرادة :

إن كل خلق وما يشمله من عمليات ووجود يسبقه أمر واحد وهو الإرادة، إرادته سبحانه وتعالى، إن لم تكن إرادته حاضرة فلن يكون هناك خلق ولا أثر لهذا الشيء . والإرادة يتبعها أمر واحد ،وهو الإذن بالوجود، وعنده يمتثل الشيء مسلما أمره للخالق سبحانه وتعالى، كما قال في هذا الشأن((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83))) سورة يس. فهذه الآيات واضحة: فالإرادة تسبق الأمر وتتلخص في وجوب الشيء من حيث الحاجة والوظيفة والزمان والمكان والتناسق، وعندها يأتي الأمر بإتيانه كما أراده هو سبحانه. وفي الآية الأولى يتمحور في ثلاثة محاور:

1 – الإرادة في إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
2 – الأمر في أَنْ يَقُولَ لَه كُنْ
3 – الإمتثال في فَيَكُونُ

وهنا تتجلى قدرته على تأثير ونفاد أمره فيما يريد بأمر المطاع للمطيع في الحصول المأمور به من غير إمتناع ولا توقف ولا تردد. فعندما يريد شيئا فسيأتي طائعا مسلما أمره للخالق وكما أخبرنا عن أعظم خلق وهي السموات والأرض عندما أمرهنّ بالإتيان ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11))) سورة فصلت . وليس للمخلوق قدرة على الخالق فالكل مسير بأمره يفعل مايشاء ومتى شاء وكيف مايشاء، فإذا أراد شيئا، حصل ((أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(54))) سورة الأعراف .

والإنسان يريد ولكن إرادته تحت إرادة الخالق وإرادة الإنسان يكون من ورائها الطمع في حصول الشيء لإشباع رغباته وهذا لايتأتى له إلا إذا رضي له المعطي سبحانه وجاءنابهذه الآية ((وَمَنْ يُرِدْ

ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145))) . كما أن هدي الإ نسان بإرادته لقوله تعالى ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126))) سورة الأنعام وختام هذا المحور نكون بهذه الآية .. إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

- قدرة السرعة :

وفتح هذا المحور يكون بالآية التالية ((وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ(50))) سورة القمر. وهذه القدرة في حد ذاتها لا يقدر عليها إلا هو سبحانه فالخلق عنده يوجد ويخلق بسرعة فائقة وبدون تراخ، يكفيه فقط الأمر ليمتثل الشيء أمامه "واللمح" هو النظر بسرعة، وهذه السرعة تقدر بأقل من أجزاء الثانية كماأنه جاء مابين كلمة "كن" التي تتكون من حرفين، أنه ما بين النطق " كـ.ن" فيكون ما يكون . كماأنه لا يلزمه أي مدة زمنية لذلك،يكفيه أن يقول لشيء كن فيكون أمامه بكامل التسوية. ومن خلال هذه السرعة الفائقة التي لا يتصف بها إلا هو، تظهر بأن خلق الأشياء يسير عليه لا ينجر عنه تعب ولا مشقة ولاضيق ولا راحة يستعيد فيها قوته وقال في شأن خلقه((إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)) وقال كذلك ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(33))) سورة الأحقاف. ورب سائل يقول لماذا كلفه وقت طويل عند لخلق السموات والأرض و التي قدرت بستة أيام؟ أجيب من حيث تعليم الإنسان الإتقان فقط وهذا لما تقتضيه مكونات خلقها وتعدد وظائفها كماجاء في حديث

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها و عن أبيها أنها قالت أن رسول الله صلّى الله عليه و سلم قال: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".رواه البيهقي،وبين هذا في سورة الملك((الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(3)))ماترى في خلق الرحمن من تفاوت.... فكل شيء عنده متقن ومتناسق فسبحانه من إله عظيم الشأن.

قدرة الحاجة :

ومن قدراته أن يسير شؤونه حسب ما تقتضيه الحاجة و الضرورة وهو أدرى بأموره، ولن يخلق الأشياء هكذا عبثا لقوله ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116))) سورة المؤمنون، وذكر أن من يتفكر في خلق الله يصل إلى هذا فقال سبحانه((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191))) سورة آل عمران، وهو الذي يعلم ما يلزم وما يحتاج خلائقه في هذه الحياة الدنيا من منافع وأضرار وزينة وجمال متكامل الأشياء لبعضها البعض والكل من أمره وندبيره لوحده وبمحض إرادته فلا أحد يلزمه شيئامثلا أ نماط الأشياء فهو الذي يدبر لهم ما يحتاجون. لذا فالحاجة لغيره والعجز لغيره. ومن بين الحاجيات التي تحتاجها الكائنات الحية لتوفير أكلها هو نزول الغيث،فنزول الغيث حاجة ماسة لها إذا ما إنعدمت هلكت وهو الذي بيده، هذه النعمة، يعلم متى ينزله ومتى يؤخره، كما أن الماء جعله ضرورة الحياة حيث قال تعالى ((وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)) ومن رحمته أنه لا يبخل به عليهم كما قال عز من قائل ((وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)) ، فكان هذا على سبيل المثال لأن الأمثلة كثيرة،وحاجيات الخلق لا يمكن الإستغناء عنها بل هي ضرورية لوجوده.

قدرة التصرف :

سبحانه له قدرة التصرف في مخلوقاته وشؤونهم، إذ لا يعجزه شيء أو أمر فهو يتصرف فيهم كيف ماشاء، ومتى ماشاء، وأين ماشاء، أولا كوجودهم فهو قادر أن يزيل قوم بأكملهم ويستبدلهم بأقوام أخرى،قال تعالى ((وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38))) سورة محمد . فالتغيير بيده وله كامل الحكم و القضاء في تسييرخلقه ولا أحد يسأله عما يفعل لقوله ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23))) سورة الأنبياء، ثم لا أحد يرده عن تصرفه، بل الكل مستلم بين يديه حتى في حال مسهم بضررمهما كان نوعه لقوله((وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11))) سورة الرعد ، وقال كذلك مبينا قدرته في تصرفه حيث لا ناصر له أو يمنعه فقال طارحا إستفهام إنكاري ((قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17))) سورة الأحزاب ولهذا قال جل جلاله ((وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ(78))) سورة الحج .

ومن تصرفه أن يمني ويقطع كأن ينزل الغيث وينتج عنه ثمار حتى إذا قرب نضجها وإستغلالها،جعلها حطاما يابسا يحرم بهاعباده قال تعالى ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21))) سورة الزمر.

ومن تصرفه أيضا هداية وضلالة الإنسان ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93)))سورة النحل ،وهو المتصرف الوحيد في قدره فهو قادر على أن يغير قدرا من أقداره المكتوب على اللوح المحفوظ أو يتركه ساريا مفعولا((يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ(39))) سورة الرعد والملاحظ أن هذه السورة جاءت بآيات كثيرة في هذا الشأن ....

وكل تصرفاته سبحانه وتعالى لايشاركه فيها أحد حيث قال تعالى ((وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا(26))) سورة الكهف.كانت هذه نبذة من بعض تصرفاته سبحانه وتعالى .

<u>قدرة التحول :</u>

إن قدرة التحول نجدها في كثيرمن الأشياء المخلوقة وعلى رأسها تحول الإنسان في خلقه وفي حياته وفي هديه.

وخلق الإنسان يتميز بمرحلتين: المرحلة الأولى عند أول وجوده فخلقه الله من طين وهو آدم عليه السلام أبو البشرية ثم نفخ فيه من روحه الطاهرة فجعله حيا وهذا أول تحول من جماد إلى حي، ثم تحول من طين وتراب إلى خلق من لحم وعظام و زوجه أم البشرية حواء التي خلقها من ضلع آدم ضلعه اليسرى،وهنايتباين الخلقين:الأول من طين إلى لحم وعظام والخلق الثاني من عظم المخلوق الأول إلى لحم وعظام وليعتبرالإنسان وفي المرحلة الثانية خلق الإنسان بإختلاف الخلق الأول، بحيث جعله يخلق عن طريق الترابط والتزاوج بين الذكر والأنثى وجعله يخلق بواسطة الماء فقال ((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8))) سورة السجدة وقال كذلك ((أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(20))) سورة المرسلات. ولم يكتف بهذا سبحانه وتعالى بل جعل له تحولين إثنين آخرين تحول وهو في بطن أمه، والتحول الثاني أثناء مراحل حياته. التحول الأول يعرف تحولات عدة فقال سبحانه ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14))) سورة المؤمنون. فكانت هذه المراحل والتحولات التي يمر بها الإنسان وهو في بطن أمه وهي سبعة :

ماء مهين ← نطفة ← علقة ← مضغة ← عظاما ← لحما ← جسما .

وفي مراحل الحياة يمر كذلك بمراحل كثيرة حيث قال عنها سبحانه وتعالى ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54))) سورة الروم. وهي مراحل ثلاثة أساسية في حياة الإنسان: مرحلة الضعف من الولادة أي من الرضيع إلى الطفولة ومرحلة القوة تمثل في الشباب وهي مرحلة وسطى وأساسية، أين يشتد فيها ويكون في قوته الكاملة. والمرحلة الثالثة تحتوي الكبر والهرم والشيخوخة وهي مرحلة الضعف. وهكذا يتبين أن الإنسان يبدأ في حياته ضعيفاوينتهي ضعيفا :

طفلا ← شابا ← شيخا

ضعف ← قوة ← ضعفا

فسبحانه من محول من حال إلى حال ."للعلم" إن هذه المراحل تكرر في كثيرمن الأشياء وهي :

بداية ← ووسطية ←ونهاية . ولنا أمثلة كثيرة :

الشمس : فشروقها كزوالها أي وسط النهار وكغروبها .

القمر: فبدايته على شكل هلال ثم في وسط الشهر يكتمل ويصبح قمرا منيرا وفي آخر الشهر يعود كهلال.

الأرض : في البداية خلقنا منها ثم نعود إليهابأجسامنا ثم نخرج منها لقوله تعالى ((مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55))) سورة طه .

الأيام : في بداية السنة يكون النهار قصير و في وسطها يطول النهار ثم في آخر السنة يقصر ..

إذا كل هذه الأشياء فلها ثلاثة مراحل : بداية ووسط ونهاية، والبداية ليس كالنهاية. فمثلا فضعف بدايته ليس كضعف نهايته؟ لكل ضعفها. ولك أن تمعن في الآمور الأخرى إنتهى .

أما التحولات الأخرى فكتقلب الجو، تقلب الليل والنهار ....

قدرة الإبداع :

إن الإنسان العاقل لا يخلو تفكيره وتأمله وتعجبه بإبداعات خالقه، وكيف له أن يغفل ويتجاهل أنواع المخلوقات وأصنافها وترابها وألوانها وكبرها وصغرها وعن إعدادها ومنافعها و أضرارها، إذا وقف على هذه الأمور وتأملهاجيدا لتجلت له هذه الآية الكريمة ((بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(117))). سورة البقرة وكيف لا يستجيب لنداء ربه حيث خاطبه ((أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (48) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50))) سورة النحل ،هل هذه الآية حركت حواس وعقل العبد الضعيف إلى النظر إلى مخلوقات الله وهم يسجدون له خوفا ويفعلون

مايؤمرون ؟ أنت أيها العبد إذا كنت لا تخافه فطلب منك أن تنظر إلى خلقه وتتأمله. وقال كذلك في سورة الغاشية « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) » . إنها مخلوقات عجيبة، وكل خلق من هذه المخلوقات يتصف بإبداعات عظيمة وجب للمؤمن أن يسجد لهذا المبدع العظيم. وهل وقف المؤمن مرة واحدة ونظر إلى السماء وهي فوقه تستره وهي ذات لون واحد وذات شساعة ينقطع عنه النظر ويعيى دون أن يبلغ أفاقها وهي شامخة في هذا الكون، وكل هذا بغير عمد, أ رأى الإنسان سقفا ولو بسيطاجدا بغيرعمد؟ فقال « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا » وطرح لنا إستفهاما إنكاري ترونها أي ترون أنها أعمدة ؟ وقال كذلك في سورة الأنبياء « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32) »، وهل تأمل الإنسان في الأرض؟ هذه الأرض التي يستقرعليها كيف مددها خالقها وما تحمله من عجائب. وقال عنها سبحانه « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8) » سورة ق، ونصل إلى الإنسان الذي هو محورهذه الحياة فنبهه الله أن ينظر إلى نفسه وكيف أبدع فيه بأحسن الإبداع : أولا ينظر إلى تكوينه هل هو مكون من جزء واحد؟ وهل أعضاؤه تتشابه وتؤدي نفس الوظيفة؟ فكل عضو مركب من مادة تختلف عن العضو الآخر. ولهذا قال لنا سبحانه « أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ » ، وليتأمل العبد في أنواع الأنعام و الدواب والنبات والخضر والفواكه.

قدرة الإتقان :

فبعد الإبداع يأتي الإ تقان في التراكيب وإتقان في الوظائف، إتقان في وضع الأشياء في مكانها، إتقان في ثباتها، إتقان في الجزئيات، وكل إتقان لايرى فيه خلل ولا إعوجاج، إتقان من ورائه خالق مبدع قادر على كل شيء وقاهر فوق كل شيء بحيث لا يعجزه شيء، بل هو الآمر وما على المخلوقات إلا الطاعة .

وهذه بعض النماذج من هذا الإتقان: فالبداية تكون من أعظم المخلوقات وهي السماء، فهذه آية في غاية الجمال والإتقان آية جلية للعيان فالنظر إليها سواء تأملا أو إفتراضا لها غطاء وسترا وإذا نظرت إليها ظهرت وكأنها بساطا لا نهاية له، فالعين تعجزعن إدراك نهايتها ويستحيل إدراكها بأكملها، ويتبادر إليك وكأنها ذو لون أزرق ولكنها غير ذلك ، فهي شامخة فوق الأرض، فهي بساط مسطح من قطعة واحدة ليس فيه ترقيع ولا تركيب قطع ببعضها ولا إعوجاج ولا إلتواء ولا شقوق ولا تصدع رغم مساحتها التي لايحصى طولهاولاعرضها قال عنهاخالقها سبحانه وتعالى في سورة الملك « الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4) »

وقا ل كذلك « أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) » سورة ق.

الثاني هل تأمل في هذا المخلوق وهي السماء؟ فرغم عظمتها وشساعتها وهي شامخة في الأعلى وبدون عمد أن لا تسقط ولا تتزعزع.

الثالث هل تأملها بالليل ومتع بصره بزينتها؟ زينة أولاها ربها بمصابيح وهي تتلألأ ، زيادة على هذا رجوما للشياطين لقوله تعالى « وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ(5) » أليس كذلك؟ هل صادف العبد ولو مرة في حياته وهي ترسل شهابها راجمة بها الشياطين ، إنها آيات لمن يريد أن يقف عندها. فكل شيء خلقه الله تميز بالإتقان الدقيق. وهل فكر الإ نسان في هذه السماء جعلها الله سترا وحفظا من كل سوء فقال « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ(32) » *سورة الأنبياء*، نعم فقولك الحق إنا معرضون عن كل هذا. ومن إتقانه كذلك ألا يتأمل الإنسان بعد أن يظلم الدنيا بظلامه فجعل له قمرا ينير دنياه وفي النهارجعل له فيها سراجا يضيء الكون، وهما مخلوقان أي الشمس والقمر يؤديان وظيفتهما بنفس الدقة اللامتناهية،لا إنحراف ولا عطب ولاتأخر ولا تقدم بل في مسيرة تامة بدون عياء ولا تراخ ولا تماطل وهذا منذ نشأتهما محافظين على تداولهما لقوله « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ

عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)))

فعنده وقوفها وإنتهاء مهامها.

ـــولك تأملات أخرى في هذه الآيات أيها المؤمن، تأمل .... في الأرض ما شاء الله من الآيات وأذكر هنا ((وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا(31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33))) سورة النازعات.

ـــولينظر الإنسان إلى نفسه وقد نبهه الله إلى ذلك ((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ)) وقد تم التطرق إلى هذا بصفة سطحية في كيفية تنوع أعضائه وتنوع مادة كل عضوحيث يختلفون عن بعضهم ، وهنا نرى الإتقان في الصنع فنبدأ بالصورة يقول عز من قائل((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(8)))،ونلاحظ ظاهريا أن صورة الذكر تميزبا القوة والشدة من حيث الملامح،وصورة الأنثى تميز بالجمال والرقة. أما من ناحية الأعضاء فأتقن في ترتيبها حيث جعل كل عضوفي يكمل وظيفة ما سبقه ولك في هذا تناول الأطعمة أنظر إلى المسار نتناول الطعام بأداة من الفم مرورا بالمعدة وما يتلقاه من المبدو الطحال وصولا إلى الأمعاء بنوعيه إلي خروجه. وانظر إلى الأعضاء الحساسة والتي حفظها من اللمس كالمخ الذي هو مركز القيادة وتسيير الجسم لحفظه وجعله في أعلى قمة الجسم وهو الرأس وجعله في أمان داخل جمجمة من عظام، ثم أنظر إلى القلب الذي ينشط الدورة الدموية التي تغذي الجسم كله وجعل له رئتين تستنشق الهواء من الخارج لتغذيه بالأكسجين ليتجدد حتى لا يفسد وتنقيه وتنزع عنه الكربون الذي تلفظه الرئتان خارج الجسم وكلاهما جعلهما أي القلب والرئتان حفظهما في قفص من الأضلع التي هي من العظام. وأتركك فيما تبقى من الجسم، ولك أن تأمل في باقي المخلوقات ويكون ختام هذا المحور بالآية الكريمة ((صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ))

قدرة الحركة :

من قدراته الإبداعية أن جعل كل الأشياء تتحرك ،كل على حاله فجعل الشمس والقمر والليل والنهار يتحركون عن طريق السباحة داخل فلك يقول الله عزوجل « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(33)» سورة الأنبياء، فهذه المخلوقات تدور أو تتحرك على نفسها وحول الأرض في دوران مستمر.وبالتسبة للكائنات الحية كالدواب والطيور والحشرات فجعل حركاتهاعن طريق المشي أو الطيران. وكل صنف له نوعان أي زوجيان. فالصنف الأول وهو المشي على الأرض هناك زحف ومشي على الأرجل، فالزحف كذلك نجد نوعين هنا كالحيوانات ترحف على بطنها فقط بدون أي مساعدة كالأفاعي، وصنف ترحف على بطنها بواسطة أرجل صغيرة كالتمساح ...

الصنف الثاني هي الحيوانات التي تمشي على أرجل وفيها نوعان كذلك:

فمنهم من يمشي على رجلين كالقردة ..ومنهم من يمشي على أربعة أرجل وهذا لغالبية الحيوانات لقوله تعالى « وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) » سورة النور.

والعنصر الثاني وهو الطيران ونجد كذلك نوعين نوع يطير في الفضاء،في السماء عن طريق أجنحة وهم الطيور والحشرات والنوع الثاني يطيرفي الماء ويتحرك بواسطة أجنحة وهم السمك والحقيقة هذا التحريك عن طريق السباحة فالطيور تسبح في الهواء والسمك يسبح في الماء .قال العلماء جميع ماخلق الله عزوجل لايخرج عن المشي والطيران وهي إزدواجية كونية ظاهرية،وألحقوا حيوان البحر أو التي تعيش في الماء بصفة عامة كالطيورلأنها تسبح في الماء كما تسبح الطيور في الهواء ،كما يسبح الشمس والقمر والليل والنهار في الفضاء. أما تحرك الإنسان فهذا معروف فله عدة مزايا خصه الله بها ، فتحركه يدخل في تحرك المشي ولكن يختلف عن تحرك الكائنات الحية وهذا لتعدد نشاطاته وتحركاته، وله الفضل في هذا من عند ربه عز و جل . وهناك تحرك

الغيوم حين تسوقه الرياح لقوله « حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ (57) » سورة الأعراف.. ولينظر الإنسان إلى المحيط الذي يعيش فيه ونتذكر دائما الآية « صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ (88) » سورة النمل.

وقال أحد العارفين :

وفي خيال الظل أكبرعبرة +++ أين كان في بحر الحقيقة واق

شخوص وأشكال تمر تنقضى +++ فتفنى جميعا و المحرك باق

قدرة التسخير :

إن معنى التسخير هو تكليف شيء لشيء أي مخلوق لمخلوق بدون ثمن وبدون مقابل. وتسخير الأشياء المخلوقة من الله لعضها البعض هو تقديم أعمالا وأغراضا ومنافعا وإستهلاكا، وهذا تكليف منه قهرا وذلة وأول تسخير هو تسخير الأمورالفلكية للإنسان لقوله « وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) »سورة النحل. ثم الأرض مثلا لقوله« وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُم(33) » سورة النازعات، وقال كذلك « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً (20) » سورة لقمان. وسخر لنا البحر لنأكل منه أنواع الحوت المختلفة لقوله « وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(14)» سورة النحل، زيادة على الفلك لنقطع به البحار وللتواصل بين الأمم وتبادل التجارة ... لقوله « وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) » ،وسخر لنا الأنعام ولنا فيها منافع كثيرة . أول شيء فملكنا إياها فأصبحت ملكا لنا بدون أن ندفع له شيئا وهو ليس في حاجة إلى شيء منا، الأمر الثاني فذللها لنا حتى نستطيع أن نتحكم فيها وبمانفعها،لولاه سبحانه لما تمتعنابها وتذللها جعلنا نركبها ونأكل لحمها فقال سبحانه عنها« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا

أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ(71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73) » ،فالكريم لايريد مقابل كل هذا إلا أن نشكره هل شكرناه ؟

و عن ركوبنا قال« وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) » سورة النحل. وعن أكل لحومها قال« فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(114) » سورة النحل،وعن المنافع الأخرى قال « وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (80) » سورة النحل، وعن مشاربها ، ألبانها المختلفة أذواقها فقال « وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66) » سورة النحل، زيادة شراب ثمرات الفاكهة فقال عنها « وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) » . فهذه عينة بسيطة جدا من النعم المسخرة للإنسان «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18) » ولكن نحن لا نبالي بهاوكأنها وجدت هكذا وليس من ورائها خالق كريم رحيم أنعمهاعلينا فلك الحمد والشكر حتى ترضى.

قدرة الرزق :

إن الرزق بيده وحده وهو الرزاق الكريم.والرزق لا يعني المال فحسب بل هو كل الخيرات، ماديات ومعنويات.وكل كائن حي هو الذي يدبر له رزقه ويقدر له مايشاء من رزق سواء كان كثيرا أو قليلا وكما قال « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(6) » سورة هود. وهذه الآية لخير دليل على تولي مخلوقاته من رزق. فأي دابة مهما كانت فلا ينساها سبحانه وتعالى،أين ما كانت وأين ما وجدت .

فائدة: جاء عن عيسى عليه السلام أنه كان مع نفر من قومه فرفع رأسه إلى السماء فرأى الطيور تسبح في الفضاء فقال لهم أرأيتم هذه الطيورالتي تغدوا و تروح وهي لا تحرث ولا تزرع و رزقها موجود.

"فائدة"عيسى عليه السلام كان من المتأملين في خلق الله،فجاء عنه قال كل زمن يمر في غير ذكر الله فهو لغو".

فائدة: وجاءعن يوسف أنّه لما رمي في البئر ضاق به الحال واشتد به الجوع فأوحى إليه يا يوسف أنظر إلى الأرض، فنظر إلى الأرض،فانشقت، فإذا بدودة حية تأكل حشائش الأرض فقال له أرأيت هذه الدودة في أعماق الأرض ولم انساها فكيف أنساك وأنت نبى ". ولنا المثل في الكائنات الحية الأخرى حيث أخبرنا الله عز وجل « وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(60) » سورة العنكبوت . إذا فجميع الحيوانات بجميع أصنافها من وحوش ودواب وطيور و حشرات إلا ورزقها مضمون من عند خالقها،فليس للدابة أن تعمل حتى تسترزق سبحانك يا إله ذو الجود والكرم. كذلك بالنسبة للإنسان فرزقه يأتيه من كل مكان أين ما وجد. ومن فضله على الإنسان أن أكرمه بأنواع شتى من الطيبات ونوع أذواقهاوهي حقيقة لا يمكن للإنسان أن ينكرها قال تعالى« وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4) » سورة الرعد، وقال كذلك « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) » سورة الحجر. في هذه الآيات جاءت ثلاثة مميزات : وهو أن الرزق يضعه في الأرض التي نتغذى منها وهي تعتبر أمنا، إذ خلقنا منها وتغذينا ونعود إليها، ... ثانيا: أن الإنس ليس هو الذي يرزق، ثالثا: أن خزائن الرزق عنده وينزلها بقدر معلوم،وتدبير شؤون عباده بيده سبحانه وتعالى، ويعلم حاجيات مخلوقاته وطبيعة خلقه لذا قال« وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ(27) » ، سورة الشورى. وبعد ذكر

الله تعالى الناس بأنهم الفقراء وهو الذي يغنيهم فقال« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) » سورة فاطر. هذا بالنسبة للعامة فهو يبسط رزقه على جميع أرجاء هذه الأرض المباركة نستفيد منها كل المخلوقات، أمابالنسبة للفرد أي الرزق الخاص لعباده فله الحكم ويفعل مايشاء سبحانه وتعالى، فبيده العطاء والحرمان، يعطي لهذا ما شاء و يحرم هذا فقال « لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(12) » سورة الشورى. ولا تمييز عنده في هذا الشأن، لا فرق بين المؤمن والكافر، ولكن المطلوب من المؤمن أن يحمد ربه في كل حال سواء في الغنى، فيزكي ويتصدق، وفي الفقر فيحمد ربه على هذا العطاء ويقنع بالشيء المقدر له . فالله يعلم ما يحتاجه الخلق في معاشهم فبيده الأمور، أمور الرزق كلها: خيرها وشرها، جليلها وحقيرها. وإذا أراد الله شيئا،حصل فلا يطلب الإنسان من غيره ، بل يطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن، فمن أراد الله أعطاه مفاتحه، أي سهله لقدر معلوم، أي فيسعد هذا ويشقى هذا ويفقر هذا ويغني هذا على حسب ما قدرالله . إذا علمت ذلك أيها الإنسان، فالمناسب أن تقول "على حسب تقديرالله" . وليعلم الإنسان أنه لا يموت حتى يتم نفاذ رزقه المكتوب له والذي قدر له أن يتمتع به .عن جابر بن عبد الله قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحدكم لن يموت حتى يستوفي فلا تستبطئوا الرزق و اتقوا الله و أجملوا في الطلب خذوا ما حلّ و دعوا ما حرم".رواه الطبراني في المعجم الأوسط.

قدرة الغيب :

إن علم الغيب بيده سبحانه وتعالى ولا يطلع عليها سواه فقال « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(27) » ، وقدرات الغيب تدخل في علمه الواسع والشامل بمخلوقاته فهو أعلم وأدرى على كل شيء يتحرك أو يسكن أو يخفى هذه الدنيا. وهو أعلم بالحاضر والغائب معا، وكيف لابل يجب أن لايكون أدنى شك أليس هو من خلق كل من في السموات والأرض وما

بينهما قدر لكل شيء قدره إذا يجب أن تعلم علم اليقين أنه عالم الغيب والشهادة وأنه كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، ألم يقل لنا « كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(6) » سورة هود .

فائدة: إن الله قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كان في علم غيبه أنه يتخلق هذه الحياة الدنيا بما فيها ويعلم مصائرها".فقال عن علم غيه في كل زمان ومكان« عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ(9) » سورة الرعد .

وأسـرار الغيب بيده فمفاتيحها بيده ولا أحد غيره يعلمها فقال« وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59) » سورة الأنعام . وهذه الآية شملت الإطلاع الشامل لجميع ما يجري في الأرض، سواء على ظهرها أو باطنها وشملت كذلك على كتابه الذي مسجل فيه كل هذه التحركات،

كما أخبرنا على عظمة قدرة علمه بالغيب وهو أنه لايفوته شيء سواء كان هذا هام أم لا ، والعبرة في علمه الغيب، إذ أخبرنا عن الورقة التي تسقط من الشجرة، والتي لا يعبأ بها الإنسان،ولا يعبأ بها ولا يبالي ، ولا يعير لها أي إهتمام ولكن قصد الله تحذير الإنسان المغرور أنه لا يخفى عليه شيء فسبحانه عظيم الشأن حيث نبهه في كثير من الآيات نذكر على سبيل المثال « يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) » سورة الحاقة ،و قال تعالى « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(65) » سورة النمل ، وقال « لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »وقال « وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(75) » سورة النمل ، وغيبه يشمل كذلك سكون الليل والنهار وما يجري فيهما قال « وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(13) » سورة الأنعام ،وفي غيبه نهاية هذه الحياة الدنيا وهي ساعة نهاية فنائها فقال في شأنها « يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا(63) » سورة الأحزاب. ومن علم غيبه نزول الغيث« وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28) »

ومن غيبه ما في الأرحام فهو مطلع على كل ما يجري بداخلها من حمل وطبيعة الجنس ذكرا أو أنثى فقال « اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) » سورة الرعد ، ومن غيبه الغيوب الخمسة وهي: نهاية العالم– نزول الغيث–علم الأرحام– جزاء الآخرة– مكان الموت فقال « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(34)» سورة لقمان.

وهذه حكمة عن الزمان تدخل في عالم الغيب وهي لأحد العارفين الزمان ثلاثة:

1 - يوم مضى ولا يعود

2 – و يوم أنت فيه ولا يدوم

3 – ويوم يأتي ولا تدري ما فيه.

قدرة الرحمة:

إن قدرة الرحمة من القدرات الأسمى الله الخالق سبحانه ،ورحمته تحتاجها كل الخالق والتي يستحيل الإستغناء عنها. فرحمته واسعة لا حدود لها وهي تنطبق على جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى، فتضفي ضلالها على الكل وبها تستقر أمورالله، لأن لولاها لما بقي أي شيء على وجه هذه الأرض، فقال عز وجل « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ». ورحمته تعني السلامة والرأفةوالشفقة: السلامة من الضياع و السلامة من الهلاك والسلامة من الدمار، والسلامة من الإنحلال والسلامة من الحطام، والسلامة من الحرمان، والسلامة من الشقاق، والسلامة من الأمراض ، والسلامة من المصائب إلى غير ذلك من الأحوال التي تمس وتسلط على المخلوقات. والرأفة والشفقة يحتاجها الإنسان من خالقه الذي يصونه هو ولا أحدغيره، فقال عزوجل « وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) » سورة الأنعام هذه الآيات تبين الرأفة والشفقة

على الإنسان بحيث سخر له هذه الأنعام فزيادة على أكل لحومها ويدفأ من أصوافها وله فيها جمال وراحة من حيث ركوبهاوتحمل له أثقاله وهذا لتخفيف من أعبائه وهذا رأفة ورحمة بالإنسان ....

ومن رحمته إزالة اليأس و القنوط ((وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28))).وقال كذلك مبينا صورا من رحمته سائلاعباده وهم ساهون عن رحمته ((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67))) ، وعن الماء قال ((لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70))) سورة الواقعة. وقال كذلك ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53))) و هو الغفور الرحيم قادر أن يمحو سيئات عباده عندما يخطؤون ثم يتوبون إليه لأنه لا يغفر الذنوب إلا هو بحيث أن رحمته واسعة يتسامح مع التائبين الذين يتوبون توبة نصوحة لقوله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)) وقال كذلك ((وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25))) سورة الشورى.

وكذلك أخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن الرحمة كتبها على نفسه متصفابأنه الغفار الرحيم إذ قال له ((وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54))) سورة الأنعام ،وهذه الآيات جاءت بخبرين: الخبر الأول أنه أبلغ نبيه صاحب الرسالة أنه لن يرد الذين آمنوا ولن يغلق عليهم الباب باب رحمته، الخبر الثاني أن هذه الرحمة تخص الذين عملوا السوء عن جهل، هذا الشرط الأول والشرط الثاني التوبة.

وكيف لا يقدر المؤمن هذا الرحمن الرحيم الذي يبدل سيئات المذنبين بالحسنات قال في سورة الفرقان ((إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا(70))) ومن كرمه ورأفته بعباده أنه إذا إستجاب العبد له وتاب فلا يخاف فهو عند رب غفور شكور بحيث سبحانه وتعالى أن

الحسنة الواحدة قام بها العبد، يجازيه عنها ويقابلها بعشرة أمثالها وإذا قام بسيئة واحدة يقابلها بسيئة مثلها، هل هناك رحمة أكبرمن رحمة الله ويتأكد هذا في الآية التالية من سورة الأنعام « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160) ». أي سيطبق عليهم ما وعد به ربهم هنا، لاينقص من حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم. وبرحمته يفوز المؤمن غدا يوم القيامة.

ومن حظ المؤمن أنه حتى الملائكة الكرام يدعون للذين تابوا ثم ا تبعوا طريق الله وهذا أخبرنا به خالقهم « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) » سورة غافر .

قدرة القضاء :

قضاء الله هو أمر جازم، وقيل وصية،وقيل إلزام،وقيل واجب،وكل صحيح، وهذا مما يتبين من خلال الآيات الكثيرات.هناك أمور جاءت ملزمة على العباد ومفروضة ولكنها جاءت بصيغ مختلفة،كما سيتبين فيما بعد. وقضاء الله هو كل شيء كتب على مخلوقاته كوجود وهو الصفة والتركيبة والزمن والمكان والصحة والإبتلاء والخير والشر والموت والحياة إلى غير ذلك، وكعبادة وحدانيته واتباع أوامره واجتناب نواهيه، والرضى بقضائه حلو أو مر، وكل شيء يسير بقضائه، فهو الآمر وعلى المخلوقات الطاعة. ومن بين قضائه خلق هذا الكون وبمن فيه وكتاب مصائره:مصير كل مخلوق. القضاء في الآجال: فرض الحياة والموت وزمانهما« لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38) » سورة الرعد. وكل ما في الكون مسخر بين يديه ومسير بقضائه. ومن قضائه على الناس، فأول قضاء هو عبادته وحده لاشريك معه فيها حيث قال« وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» ، حكم جازم لا جدال فيه،ولا ترخيص، فهوخط أحمر وقال في موضع آخر مبينا هذا الحد« إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» ، حد فاصل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وختم هذا مبنا درجة الشرك به فقال« وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا» فالأمر واضح

لاغموض فيه.وجاءنا بقضاء قضاه على بى إسرائيل، حيث حكم عليهم بأن يفسدوا في الأرض مرتين فيعاقبهم بأن سلّط عليهم عباده ذو قوة وبأس شديد ومكروا بهم أشد مكر لقوله « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) » سورة الإسراء، ثم أمدهم بأموال وبنين وجعلهم أكثر قوة لقوله « وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا(6) » وكما تبين من خلال هذه الآية أن القضاء ووعده واقع بحق،وهذا هو القضاء، تنفيذه واقع لا محالة.

فهو قضاء أي حكم لا مفر منه. وجاء قضاء وأمر ونهى ووصية في آن واحد، جاء هذا في الآية التالية وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فهذا قضاء فَاتَّبِعُوهُ أمر إجباري وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ أمر بالنهي أمر ضروري فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ بيان للنهي ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ وصية والوصية أمر إستخفافي.

أما قضاؤه وأحكامه في العبادات جاءت بحكمين :كتاب وفرض فمثلاعن الصلاة والصوم،جاء الحكم بالكتاب لأنها ملزمة على كل مؤمن ومؤمنة،فعن الصلاة فقال « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » وعن الصوم قال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) » سورة البقرة ، أماعن الزكاة والحج فأداءهما يكون بتوفير الشروط فليست واجبة على كل مؤمن ومؤمنة. فأداء الزكاة فلابد من توفر النصاب المالي ودار الحول عليه والحج إذا توفرت فيه الإستطاعة ولله على الناس حج البيت من إستطاع إليه سبيلا فهاتين العبادتين جاء لمن تتوفر فيهم الشروط بفرض، لقوله عن الزكاة « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60) » سورة التوبة ،وعن الحج قال تعالى «فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ».فكانت هذه بعض النماذج فيما يخص القضاء وأحكامه.

والقضاء بصفة عامة هو ضوابط الأمور في مسيرة خلقه، فهو سبحانه الذي خلق وهو الذي يدبر شؤون خلقه، وبهذا فالمؤمن ملزم بالرضا بقضاء الله في جميع الأحوال وما يبتليه الله من إيتلاءحسن أو شر، وبحلوه ومره، والذي لا يرضى بقضاء الله فهوالخاسر.

قدرة الآجال :

كما أنه سبحانه وتعالى يتحكم في وجود الشيء، فكذلك يتحكم في زواله ونهاية أمره.وهنا تكمن قدراته إذ جعل لكل شيء مخلوق بداية ونهاية أي كتب له أجل مسمّى . فكما يخلق الشيء متى شاء وكيف ماشاء وأين ماشاء، فيهلكه وينفيه متى شاء وكيف ما شاء وأين ما شاء، فالكل بجميع الأحوال يرجع إليه كما قال « إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40) ». وقال كل إ لينـا راجعون وقال كذلك « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(88) » . وقال في نفس السياق « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) » وقال كذلك مذكرا الناس الغافلين بأنهم راجعون إليه ولهم أجل مسمّى كباقي المخلوقات «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8) » ومن حكمته وعلمه وتدبره وضبط الأمور أن جعل قاسما مشتركا لهذه المخلوقات ألا وهو الزمن. كل شيء جعل له زمنا يجري به إلى هلاكه وفنائه، قال سبحانه وتعالى« وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى » . وكما نرى من خلال هذه الآية الكريمة أن الزمن سخر له الشمس والقمر الذين ينبعث منهما النهار والليل وجعلهما يتعاقبان في السماء معجزا به مخلوقاته « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) » ... الذين بعد إطلاعهم والوقوف على أهمبتهما يقولون « رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ » أما عن الإنسان فذكره المولى عز وجل في عدة مواقع من القرآن الكريم، ويقف المؤمن

عند آية في غاية الأهمية في سورة الجمعة((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8))) آية معبرة بصدق، فالإنسان يجري بنفسه نحو الأجل المحتوم وهذا قهرا لأن الإ نسان لا يحب أن يموت وخاصة الكافر((وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)) فالأجل مكتوب وهذا القهر من ورائه الزمن الذي يأكل من عمره كما تأكل النار الحطب، والإنسان لاسبيل له عن هذا وكل شيء يقدر له زمنا ما مهما كان طوله إلا ويقصر ويتأكل شيئا فشيئا حتى ينقضي وينتهي عند أجله المقدر له ولاحول ولا قوة له ((هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(11))) ثم إن زمن وأجل كل شيء مختوم وقته بدقةعالية لايزيدولا ينقص عن وقت فنائه((مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (43))) وكما قال سبحانه ((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(34))) ولا نمر هكذا ونعرض عن هذه الآية, أول شيء تنفيذ القدر كما قدر،ليس فيه نسيان ولا تمييز، ثانيا الإمتثال بدون مماطلة والمنفذ و المأمور يقوم بفعله في الوقت المحدد لقوله ((قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(11))) فالإنسان ليس له القدرة أن يعارض أو يمنع التنفيذ بهذا الأمر فالعجز له والقدرة للخالق سبحانه، ثالثا فالزمن كما رأيناسابقا سخر له الله الشمس والقمر فقال عنهما((لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ)) وإن الإنسان عاجز أمام قدرة الخالق، هل يستطيع أن يوقفها عن التحرك والدوران وصدها عن المسار المقدر لهما بأداء تعاقبهما وبالتالي نفاذ عمره، وكيف لا، هل تستطيع الخلائق بما فيه الجن والإنس مجتمعين وكان بعضهم لبعض ظهيرا ولا بالوصول إلى الشمس ثم التقرب إليها ألم يقل لنا وجعلنا سراجا وهاجا

فائـــدة : إن الشمس توقفت سابقا ساعة (والقصة موجودة في الجزء الثاني من " مكانة الأعداد في القرآن الكريم") .ففي الأجل الذي لا يتقدم ولا يتأخر، ونرى إنضباط الأمورفي تسيير شؤونه سبحانه وتعالى. وهذا الإنضباط نجده في تعاقب الشمس والقمر،لويقع خلل في أحد منهما وهذا مستحيل صنع الله الذي أتقن كل شيء،فيقع الخلق في الآجال وغيرها، إذا فبإنضباطها تنضبط الآجال. فمنذ نشأتها أي خلقها لم يتغيرمسارها ولو

بجزء من الدرجة،للعلم فإن الشمس تجري بأنصاف الدرجة وبأثلاث الد رجة وبأسداس الدرجة،وهذا علم آخر، ربما سيسمح لنا بالتطرق إليه إن شاء الله في مناسبة أخرى". وإنبضباط مسار الشمس نراها في دقة أوقاتها فوقت شروقها ووقت غروبها في اليوم والشهر الذي أنت فيه نفس الوقت لتفس اليوم منذ أن خلقها الله، إنضباط ما بعده إنضباط،.وماعسانا إلا أن نقول كما قال سبحانه وتعالى((وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)) ، وقال « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» ، ونكتفي بهذا لأن مازال كلام كثيرفي هذا الصدد.

وفي الزوال، نجد زوالا فردي وزوالا جماعيا. فالزوال الفردي هو إنقضاء وهلاك الفرد لوحده، ويبقى الصنف أي البشرية تتابع طريقها هي كذلك نحو الهلاك لقوله تعالى« لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ (48) »سورة الكهف. وهذا شيء واقعي ومعاش كما يخرج الإنسان من بطن أمه لوحده فيرجع لوحده.

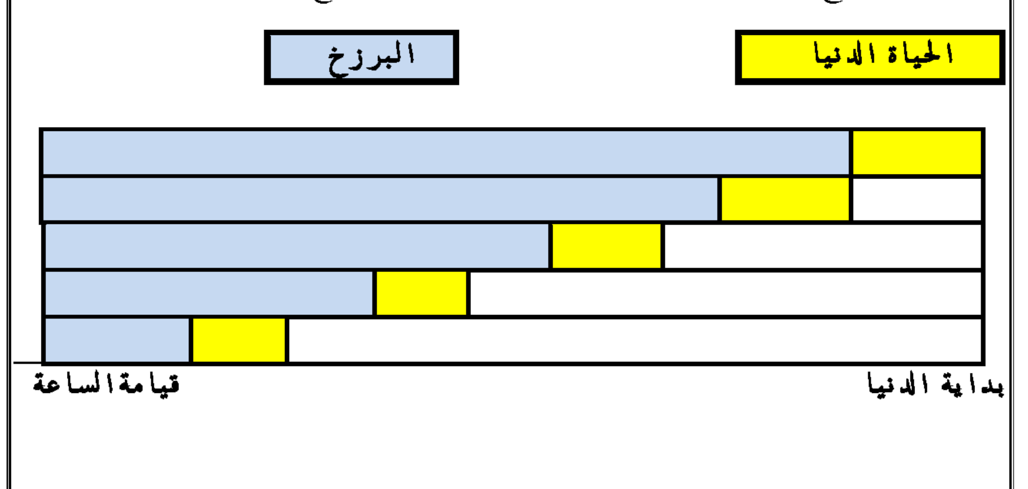
أما الزوال الجماعي فهو هلاك وفناء كل الصنف. فبالنسبة للإنسان أو الإنسانية أو البشرية فجميعهاجعل لها نهاية محتومة أي زوالها من هذه الدنيا وهي قيام الساعة التي قال عنها مخبرا نبيه صلّى الله عليه و سلّم عندما سألوه عن الساعة فقال « قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وقال كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا(46) » سورة النازعات. وكل شيء مسلم بيده سبحانه وتعالى وهو الذي جعل لكل أجل كتاب ، وهذا الكتاب لابفرط بل هو يقضي بما أمر الله به « مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ »، واعلم أن لكل فرد أجلان:أجل ينقضي بموته وأجل ينقضي ببعثه.وأجل موته هو نهاية وجوده في هذه الحياة الدنيا،وأجل بعثه هو نهاية وجوده في البرزخ أي بعثه ليوم القيامة قال تعالى« وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» . ومجموع الأجلين محسوب لا يزيد ولا ينقص، فز من الحياة الدنيا فهو من نشأتها إلى يوم القيامة فهم مقدرعنده وعلمه عنده.

ومكوث الأجلين يختلف من فرد لآخر مثلا فمنهم من يكون مدة مكثه طويل في الحياة الدنيا وطويل في البرزخ كمثل نوح عليه السلام فمكث في الدنيا أكثر من ألف سنة ومكوثه في البرزخ أطول كذلك لأنه كم من قرون بعد موته وهو الآن في البرزخ ينتظر الساعة.

هذا الجانب القضائي فالإنسان يعيشه يوميا ويدرك أنه قضاء محتوم بحيث يعيشه يوميا سواء من خلال فقدان أحد من أهله أو من جيرانه ونقف عند الآية« كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» . لكن هناك جانب آخر يجهله،وهو علمه بالأجل أي وقت الميعاد والرجوع إلى الله، فهذا أخفاه الله وجعله من علم غيبه سبحانه وهذا لحكم كثيرة وأبرزها جعل العبد يعبد ربه على الدوام، لا ينظر حتى يحين الموعد كما قال تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعوني لعلي أعمل صالحا. إذا فالإنسان يستحضر أجل موته في أي لحظة.

ودائما أتذكر ما وقع بين رسولنا صلّى الله عليه وسلم ومعاذ بن جبل رضي الله عنه:مرة إلتقيا فبعد تبادل التحية،فسأل الرسول معاذ فقال له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت أعرف ربي أحسن المعرفة فقال وكيف لك ذلك؟ قال كنت كلما أرمي خطوة لا أظن أن أرمي الخطوة التي بعدها فقال لقد عرفت ربك فامضي على هذا الطريق.ومقولة أبي بكر ... ومقولة علي رضي الله عنه .... وغيرهم ...ولهذا على المؤمن أن يعمل ويكون مستعدا للقاء ربه.

وربما الجدول سيوضح الفكرة أكثر ففيه بداية الحياة الدنيا ونهايتها،وبعض النماذج :



قدرة العدل :

إن العدل جعله الله من صفاته المثلى وجعله رمز التساوي بين عباده،بحيث جعل العادلين كالمتقين فقال «اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» .أما عدله، فهو ظاهر في شؤون الحياة الدنيا والآخرة. فعدله في الحياة الدنيا يضفي بضلاله على المجتمعات وفي نمط الحياة،ولا بد من التطرق إلى بعض الجوانب منها.ففي الحياة الدنيا فعدله يظهر شاملا على الإنسان في :

- بعد ما خلق الله آدم عليه السلام من طين وزوجته حواء من ضلعه، جعل كل إنسان يخلق بعدهما بنفس الطريقة أي كل إنسان مهما كان أصله أو نسبه، رسولا،نبيا، صالحا مؤمنا، كافرا،سلطانا،مسكينا، فيخلقون من ماء مهين في رحم المرأة.

- وجعله ينشأ ويمر بمراحل التكوين بنفس الطريقة في بطن أمه وجعل الكل يخرج من بطن الأم.

- وجعل الكل يتغذى باللبن في صباه ،وجعل الكل يأكل وبشرب ويطعم بتنفس المسالك- وجعل الكل يتطور بنفس المراجل" الصبا/ الطفولة/ الشباب والشيخوخة.

- وجعل الكل يملك عقلا مع تفاوت القدرات العقلية والذهنية وهذا من متطلبات الحياة التي تقتضي هذا.

- وجعل الكل ينتفع ويتضرر، وأما هذه الفرقات فهي إبتلاء من عنده.

- وجعل الكل يناله حظه من أرزاق السماء التي تخرجها الأرض بنزول الماء من السماء على الأرض كلها وللجميع لا فرق بين عباده والدواب ...

- جعل الكل يموت والكل يفنى.

- جعل الشمس تشرق على الأرض كلها والقمر ينير الأرض كلها.

- جعل الليل والنهار سار على الجميع ، الكل يتمتع وينتفع بمنافعهما.

- جعل إستغلال البحر للجميع .

- جعل الزواج مرخص للجميع .

وكل هذه المعطيات المقدرة من الخالق نجدها في كل المجتمعات لا فرق بين مجتمع مسلم ومجتمع كافر' لافرق بين غني وفقير،الناس كلهم سواسية ...وحتى الكائنات الحية الأخرى يشملها هذا العطاء الرباني وذكر لنا وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها وقال كذلك « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38) » سورة ا لأ نعا م ولا يفوتناشيء هام،كثير من الآيات يختمهاويذكرنا بأننا سنرجع إليه،إنه يحب الخير لعباده كما قال « مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147) » سورة النساء، أماالمقصود بالأمم هنا وهي الدواب والطيورفهي طوائف وجماعات أمثالنا.كل نوع على صفة وطريقة شكل كما نحن كذلك.فمن الدواب : العزيز والذليل،و المرزوق بسهولة والمرزوق بالكد، والقوي والضعيف،والكبيروالصغير،والمتحيل في الرزق وغير المتحيل كبني آدم،ولم يفرط شيئا في الكتاب،في تدبيرخلقها وتصرفه فيها في كل لحظة لايشغله شأن عن شأن .

أما عدله في الآخرة فهو يقضي على ما يقدمه العبد في هذه الحياة الدنيا،وما سعى لها. وزاد العبد لا يزيد ولا ينقص على ما أوتي به وما قام به في حياته. وكل شيء بحساب، لا يفرط عن مثقال ذرة من عمله. وكل ما قام به يجده مكتوبا في كتاب يقدم إليه « وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) » سورة الإسراء، سبحانه لا يفوته شيئا وقال كذلك« وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) » سورة الكهف، الآن هذا ما بين الإنسان وما وجده في الكتاب ولهذا حذرنا فقال« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) »سورة الزلزلة. كما أنه بين لنا معايير الحساب فقال « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) » سورة الشورى، وقال كذلك « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160) » سورة الأنعام ، وختم هذا المحور يكون بالحديث القدسي التالي، عن أبي

ذر رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة و السلام أنه قال :"يقول الله عز وجل ياعبادي إني حلرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا،يا عبادي،كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي،كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ،كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطخموني أطعمكم، ياعبادي، إنكم لم تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي،إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي، لو أن أولكم و آخركم ، إنسكم و جنكم كانوا على أتقى رجل واحدمنكم ما زاد في ملكي شيئا ، يا عبادي، لو أن أولكم و آخركم ، إنسكم و جنكم كانوا على أفجر رجل واحدمنكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي، لو أن أولكم و آخركم ، إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ،يا عبادي ،إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

قدرة الجمال:

إن جمال وزينة هذا الكون سواء كان في الصورة الإجمالية أوجمال الأشياء المخلوقة في حد ذاتها أو في تموقعها لشيء يبعث الإعجاب والإنبهار والدهشة وهذا كله من عند الجميل الذي يحب الجمال.وذكر الغافلين أو لا مبالين أو معرضين عن هذا الجمال الرباني في آيات كثيرة .

وقدرة الجمال ليس لها حد وخلق فينا أعين لنبصر هذا فقال « أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا» فهو إستفهام إنكاري وقال كذلك «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ». أين ما لفت الإنسان نظره إلا و اصطدم بمنتهى الجمال.وقال كذلك « أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8)» سورة ق .

نداء من الخالق لنتمعن ونتأمل في جمال ما خلق ولكنها لم تجد لها صدى لأن الإنسان ليس له الوقت لهذا فهو منشغل في أمور أخرى ... واقرأ الآيات الأولى من سـورة الملك وقد سبق وأن تطرقنا إليها. ولك براعة الجمال في صور الطيور بتنوع أشكالها وألوانها المزركشة والمبدعة لتصل إلى تنوع وجمال البعض منها فتشدك للبقاء في النظر إليها ولا ينتابك الملل من التمتع.وزيادة عن الصور هناك جمال الأصوات التي سخر لها الآذان وختاما أذكر نفسي و إياكم بأن نستجيب لدعاء ربنا.

قدرة الكمال :

إن الكمال لله سبحانه وتعالى وحده فهو متنزه عن كل النقائص فهو كامل في كل شيء، وكماله ظاهر في صفاته الجليلة ،وكماله يتجلى في قدراته. فأوصافه حميدة وهي تضفوا على المخلوقات كلها.

أما جميع الخصال وصفات الشرف الموجودة في البشر كانت متفرقة في جميع الأنبياء عليهم السلام،فكان :

- نوح : صاحب إحتمال أذى على قومه.
- إبراهيم : صاحب كرم وبذل ومجاهدة في سبيل الله.
- إسحاق ويعقوب وأيوب : أصحاب صبر على البلاء والمحن.
- داود وسليمان : أصحاب شكر على النعم.
- يوسف : جمع بين الصبر والشكر.
- موسى :صاحب الشريعة الظاهرة الباهرة.
- زكرياء ويحيى وعيسى وإلياس : أصحاب الزهد في الدنيا.
- إسماعيل: صاحب صدق الوعد.
- يونس : صاحب تضرع وإخبات.

ثم إن الله أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم في جميع تلك الخصال المحمودة المتفرقة فيهم حيث مدحه بقوله في القرآن الكريم ((وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)).

أما قدراته الكمالية فتشمل جميع القدرات العالية والمستحيلة على غيره، بحيث لا يستطيع أحد مهما كان، بل ولو إجتمع كل الخلق لما تحصلوا قدر جزء من الجزئيات منها.فصفاته تمثل في الصفات الكمالية التالية التي هي جزء من صفاته المتعددة. فهو:

الحكيم،الخبير،العليم،الغفور،الرحيم،السميع،البصير، الكريم، الملك، العزيز،الكاشف،الشكور،الحميد،الحليم،الرزاق إلى غير ذلك من الصفات الحميدة....

إذا فأوصافه كاملة،فمن صفاته العز والعلم والإقتدار، وأوصاف غيره الذل والجهل والعجز.فكل وصف كامل فهو لله وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره.وقد مدح نفسه سبحانه بجميع الأوصاف الشريفة فقال الله نعالى « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» وقال «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» وقال تعالى « وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .وقال كذلك « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» .

و" الله" هو أعظم الأسماء المذكورة لكونه جامع لجميع الأسماء والصفات .

وتلك هي بعض من أسمائه الحسنى : هو الله الذى لا إله إلا هو :

الرحمن	الرحيم	الملك	القدوس	السلام
المؤمن	المهيمن	العزيز	الجبار	المتكبر
الخالق	البارىء	المصور	الغفار	القهار
الوهاب	الرزاق	الفتاح	العليم	القابض
الباسط	الحافظ	الرافع	المعز	المذل
السميع	البصير	الحكم	العدل	اللطيف
الخبير	الحليم	العظيم	الغفور	الشكور
العلي	الكبير	الحفيظ	المقيت	الحسيب

الجليل	الكريم	الر قيب	المجيب	الوا سع
الحكيم	الو د ود	المجيد	البا عث	الشهيد
الحق	الوكيل	القو ى	المتين	الولي
الحميد	المحصي	المبد ىء	المعيد	المحي
المميت	الحى	القيوم	الوا جد	الما جد
الوا حد	الصمد	القا د ر	المقتد ر	المقد م
المؤ خر	الأ و ل	الآخر	الظا هر	البا طن
الوا لى	المتعا لى	البتر	التوا ب	المنتقم
العفو	الرؤ ف	مالك الملك	ذو الجلا ل	والإكرا م
المقسط	الجا مع	الغني	المغني	الما نع
الضا ر	النا فع	النور	الها د ى	البد يع
البا قى	الوا ر ث	الرشيد		

رواه الترميذي

أهـداف الـزواج

- تعريف الزواج
- التناسـل
- تكوين المجتمعات
- وهبة الله بالبنين
- محطة للحمد والشكر

الــزواج

1 - تعريف الزواج :

عندما نستمع إلى كلمة " الزوج" يتبادر إلينا في الأذهان ولأول وهلة، أن هذه الكلمة تعني جزءا من المعادلة 1 + 1 = 2 ،وفي العامية عندنا أن واحد زائد واحد تساوي " زوج ". وكلمة " زوج " تعطي للرجل والمرأة،وهذا مصداقا لقوله ((وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ (18))) سورة ا لأ عرا ف .وبهذا" زوج زائد زوج يساوي زوجان"، ومن هنا تخرج كلمة التزويج و الزواج، أي جمع عنصرين من البشر.وكما رأينا في محور الإزدواجية أن نمط الكون مكون ومؤسس فقد رأينا في محور الزوجية أن خلق الله كله مبنى ومؤسس على الزوجية لأن كل ما خلق الله فهو على شكل زوجين كما أخبرناوهذا للتذكير ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون وقال كذلك وخلقناكم أزواجا. لكن هناك من خلق من البداية زوجين وهداهما إلى سبيلهما، وهناك أزواج خلقت على شكل أزواج من البداية وهوما جاء في الأصناف الأحياء كالبشر والكائنات الحية ثم جعلت خلفتها يتم تزويجها بعد عمر طويل. ونأخذعلى سبيل المثال البشر وهو الذي يهمنا بالدرجة الأولى. فبعد ما خلق الله آدم وخلق منه زوجه، جعل خلفتهما تنشأ كل واحد على حدى أي الولد والبنت فيعيشان متفرقان ولا هدف مشترك بينهما أي دورهما سلبي في الحياة الدنيا من إعمار الأرض وسيحقق هذا إلابعد التهيئة الجسمية من قوة وبلوغ الحلم وهذا يتطلب زمنا لا بأس به،عند تحضير كل فرد منهما وتمكنهما من أداء هذا الهدف المشترك وهو التكاثر،عندها يتم تزويجهما. فهذه المراحل خاصة كما ذكرنا بالبشر والكائنات الحية.والله يفعل مايشاء فهو أدري منا بشؤون خلقه.

فالزواج هو ترابط إثنين يسميان زوجين: زوج وزوجة وهما الذكر والأنثى،وتزويج الفرجين فرج الرجل وفرج المرأة لأن من دونهما يستحيل التناسل والتكاثر وبالتالي تكون الخلفة التي هي مصدر هذه الحياة.هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة الزواج والتعريف به. إذا فالزواج هو أساس هذه المجتمعات البشرية لأن جلب الأولاد والخلفة لا يكون بهذا الإرتباط العضوي،ولن يتحقق هذا إلا بالذكر مع الأنثى،وغير هذا تنعدم الوظيفة المشتركة ويقع إختلال في إعمار هذه الأرض وبالتالي تقف الرسالة البشرية،لأن غير هذا النوع لا يأتي بالخلفة والله هو الذي أراد هذا الطريق لا غيره. وخلاصة القول إن الزواج لا يكون إلا بالذكر مع الأنثى،فهذا خلق الله.

- العلاقة الغير الشرعية:

هناك علاقة ظهرت في أمة من الأمم السابقة ومازال ساريا وهذا الفعل هو إتيان الرجل للرجل وهذا غير مقبول نهائيا لأن فيه مخالفة ما أمر الله به وتدل خلق الله وهو إفساد نمط أسس الحياة أي إنحراف الإزدواجية فتصبح لا قيمة لها،وينجرعنها إختلال الحياة الدنيا كلها بحيث يصبح الذكر مع الذكر و الله جعل الأنثى هي مأوى النشأ، لا الرجل. والله جعل قضاءه بأن الرجل هو الذي يربط علاقة مع الأنثى لأداء الهدف المشترك وهو الخلفة والأنثى هي التي تحمل وتلد وليس الرجل، ثم إن الله كرم وشرف الرجل بأنه هو الذي يفعل لا يفعل به, ولا بد من التعرج إلى هذا العمل المنبوذ وهو عنده شيء عظيم فهذا يغضبه أشد الغضب.ولشدة خطورته وانحراف المجتمعات عن الطريق الصحيح، ذكر الله عز و جل هذا الفعل و القوم الذين مارسوه في عشرة مواضع، في عشرسور من القرآن الكريم، وذكر العقاب المسلّط عليهم منه وهذا تحذيرا للباقين من الأمم من بعدهم. وهذه المواقع هي :

1 – سورة الأعراف : من الآية (80) إلى الآية (84)

2 - " هود : " (77) إلى " (83)

3 - " الحجر : " (57) إلى " (77)

4 - " الأنبياء : " (74) إلى " (75)

5 - " الشعراء : " (166) إلى " (175)

6 - " النمل : " (54) إلى " (57)

7 - " العنكبوت : " (28) إلى " (35)

8 - " الصافات : " (133) إلى " (138)

9 – " الذاريات : " (31) إلى " (37)

10 – " ا لقمر : " (33) إلى " (39)

وذكرهم الله باسم الموتفكات في مناسبتين : سورة التوبة الآية (70) وسورة الحاقة الآية (9) .

و العروج على هذا الأمر والتذكير به هو أن فعله خطير هذا من جمة، ومن جمة أخرى التعرف على رسالات الرسل عليهم السلام ثم الوقوف على تحذير كل من يمارس هذا الفعل .

- من هم قوم لوط :

إن إبراهيم ولوط عليهما السلام كانت تجمعهما قرابة الدم،فلوط هو إبن هاران أخ إبراهيم أي إبراهيم عم لوط،وكانا في بداية الأمر بالعراق ببابل. فلما أمر الله إبراهيم بالهجرة فهاجرا معا. فنزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بجنوب الأردن فأرسله الله إلى أهل" سدوم" وضواحيها، وفي ذلك الوقت فكان الله لم يرسل رسولا إلا من قومه. وسيدوم تتكون من خمس مدائن أكبرها سدوم، وكانت المسافة بين سدوم وبين ما كان يقطن إبراهيم أربع فراسخ أي إ ثني وثلاثون كيلومترات فارسية ولهذه العلاقة ولقرب المسافة بينهما نجد في عدة مناسبات عندما يذكر إبراهيم عليه السلام، يذكر لوط عليه السلام مباشرة بعده. إذا فقوم لوط هم أهل سدوم و ضواحيها.

- الذنب المرتكب :

الذنب الذي الذي كان متداولا بين القوم وهو لا يخفى على أحد هو أنهم يأتون الرجال شهوة أي كان الرجل ينكح الرجل من الدبر جمع دبرة وذلك مثل غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة .

- كيفية ممارسته :

فكانوا يجلسون في مجالسهم في الطرقات، وكان عند كل رجل منهم قصعة فيها حصى من البندق(حبات البلوط) أما بندق الرصاص لم يحدث إلامؤخرا أي من بعدهم. فإذا مر بهم عابرسبيل قذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به،فيأخذه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم،ولهم قاض في ذلك. زيادة على هذا،اللعب بالطيوركالضراط(والضراط هو الريح الخارج من الدبر مع صوت(حتى منع المارة بتجنب المرور أمامهم) .

وذكر إتيان الرجال جاءت بأربعة آيات :

1 – ((أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ)) الآية (165) سورة الشعراء

2 – ((أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً)) الآية (55) سورة الأنبياء

3 - ((أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً)) الآية(55) سورة النمل

4 - ((أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً)) الآية(27) سورة العنكبوت

- ظهور هذا الفعل:

إن هذا العمل لم يكن موجودا قط في أي أمة من الأمم السابقة أي منذ أن خلق آدم عليه السلام حتى ظهر في زمنهم وهذا لماجاء في الآيتين على لسان لوط عليه السلام :

1 – ((وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80)))سورة الأعراف

2 – تكررت نفس الآية (28) في سورة العنكبوت.

- نعوت هذا الفعل :

سمي هذا الفعل بالفاحشة والخبائث. وهنا الفاحشة المرتكبة هي إيتان أدبار الرجال، ضف إلى ذلك كشف العورات وغير ذلك من القبائح. و قد ذكرت الفاحشة ثلاث مرات::

1 – ((وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ)) الآية (80) سورة الأعراف

2 - نفس الآية (57) سورة

3 - نفس الآية (28) سورة

وذكرت الخبائث مرة واحدة :

« وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ (74) » سورة الأنبياء

- صفات قوم لوط:

وصف الله قوم لوط بصفات قبيحة وعددها سبعة:

1 – الفساد : « قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (30) » سورة العنكبوت

2 - العادين : « بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166) » سورة الشعراء

3 - الجهل : « بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55) » سورة النمل

4 - المكر : « قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62) » سورة الحجر

5 - الفسوق : « إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) » سورة العنكبوت

6 - الظالم : « إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) » سورة العنكبوت

7 – الإسراف : « بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) » سورة الأعراف.

ولنأخذ نعت قوم لوط بالإسراف ، والإسراف كما هو معلوم فهو كل شيء يبذل زيادة عن اللزوم أو في غير حق أو في غير محله. فمني هؤلاء القوم كان يذهب في غير محله لأنه كان يذهب لدبر الرجال بدلا من فروج النساء، الذي هو محله وذكرهم نبيهم بهذا التبديل تبديل الرجال بالنساء حيث جاء في أربع مواضع :

1 – ((إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81))) سورة الأعراف.

2 – ((أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166))) سورة الشعراء

3 – ((أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55))) سورة النمل.

فالله خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح وهو مستودع من عنده تعالى وهو قادر على رجعه فقال عن هذا الماء ((يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (10))) وهذا لبقاء النسل وعمران الحياة الدنيا. وجعل النساء محلا للشهوة والنسل.فهو الذي سبحانه وتعالى إختار المرأة لتكون هي المأوى لنشأة خلقه والذي هو رحمها. ونركهن الإنسان فقد عدل عما أحل الله وتجاوز الحد لوضع الشيء في غير محله، لأن الأدبار ليست محلا للولادة زيادة على هذا فهو محل قذرلا يصلح للنشأ وكأنهم بهذا التصرف اللامسؤول لم يرضوا بما خلق الله وهم النساء بل تركوا الحلال وانساقوا إلى الحرام. وقد شبه الله المرأة بالحرث كما جاء في سورة البقرة نسؤكم حرث لكم .ولابد من التوقف لحظة على حقيقة أخرى من الحقائق التي وقفنا عليهافي محور الإزدواجية فمن كل شيء خلقنا زوجين إثنين:

- حرث خاص بالنبات
- حرث خاص بالنشأ

ا لنوع الأول : الحرث هنا هو الأرض الخصباء، تزرع فيها البذور ثم تسقى بالماء المنزل من السماء،فتنبت النعم بإذنه تعالى.

النوع الثاني : الحرث هنا رحم الإنسي تزرع فيها البويضة أو المضغة التي تنزل مرة واحدة كل شهر، إما أن تكون مخلقة أو غير مخلقة وتسقى بماء الرجل وهو المني فينبت بإذنه الولد.

الأرض - البذور - الماء

الرحم - المضغة - ا لمنى ← مصدر ا لخلق

فالدبر بصفة عامة فهو محرم حتى على المرأ ة لقوله ((فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222))) سورة البقرة.وترك قبول النساء معناه أن الإنسان غير راض بحكم الله وهو إثم عظيم - ثم يليه تبديل الطهارة بالنجاسة،فقال ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)).

- مقابلة دعوة نبيهم :

أ – الإستهزاء: قابلوا دعوة نبيهم بالسخرية والإستهزاء بأنهم قالوا إن لوطا وأتباعه من المتطهرين،لايتقربون مثلنا إلى هذا الفعل : ((إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82)))،سورة الأعراف،وتكررت نفس الآية (56) سورة النمل.

ب – نفيه من القرية: قرروا نفيه من القرية إذ طلبوا بإخراجه وإبعاده من القرية ((أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ(56))) سورة النمل . وقالوا كذلك ((قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167))) سورة الشعراء.

ج – التحدي : فقابلوه بالتحدي وعدم الصدق بدعوته لهم،ورغم تحذيرهم من عذاب الله الذي سيسلط عليهم إذا لم ينتهوا فتحدوه ((قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(29))) سورة العنكبوت.

-العذاب المسلط عليهم :

بعد تعنتهم وتمسكهم بالذنب، أرسل الله إليهم جبريل عليه السلام ليسلط عليهم العذاب، وكان موعد هذا العذاب صباحا((إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ(81))) سورة هود وقال كذلك ((وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (38))) . سورة القمر،وبخصوص هذا العذاب،حتى إمرأة لوط أصابها لأنها كانت من الغابرين إنه مصيبها ما أصابهم.فإمرأة لوط إسمها "واعلة"فكانت تدل القوم على حضور الضيوف والملائكة عند ما كانوا يحضرون في البيت عند زوجها : فإذا أتوا نهارا فتوقد النار، وإذا جاءوا بالليل فتشير إليهم بالنار.فلما جاء موعدهم وهو الصبح،فرفع جبريل عليه السلام المدن الخمسة إلى السماء بأن أدخل جناحيه تحتها حتى سمع أهل السماء أصواتهم وصياح الديكة ونباح الكلاب ولم يبقى قائم ثم قلبها، وأمطر على أهلها حجارة منضود أي مطبوخ بالنار مسومّة أي معلمة عليها إسم من تقع عليه. فمن جملة ما وقع أن رجلا منهم كان في الحرم، وجاءه حجره

ووقف في الهواء أربعين يوما ينتظر ذلك الرجل حتى يخرج من الحرم فسقط عليه، فقتله . وجاء هذا في الآيات « قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَاحِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ(83) »سورة هود .إنها قدرة الجبار. وبقت آثار العذاب و التدمير لكل متبصر فبقيت الأحجار والصخر المتراكم والماء الأسود والمنتن يشاهدها كل من يمر بأراضيهم،كما جاء في الآية

« وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35) » سورة العنكبوت.

واختفى هذا الفعل الخبيث بعد عقاب وهلاك القوم الذي إخترعوه وتفشي فيهم، ولكنه قد ظهر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد قرن من رحيل الصحابة والتابعين وهو مستمر اليوم بيننا لكن والحمد لله فهوعلى شكل فردي ومنعزل لا جماعيا. هذا كان علاقة جنس منفرد ذكر مع ذكر، وهناك إرتباط آخر بين جنسين مختلفين ذكر مع أنثى ولكنه محرم،وهو نكاح الزنا .

نكاح الزنا: فهو محرم شرعا هذا معروف، عند الخاص والعام ونعرج عليه من الناحية الشرعية، وما يستوجب عليه من عقاب،وهل يتم هذا العقاب في مجتمعاتنا؟ الزنا هو إرتباط طبيعي أي ذكر مع أنثى، ولكنه يفتقد إلى الشرعية،شرع الله، أي لأنه نكاح الخيانة وغير مؤسس على قواعد سليمة ومضبوطة كالزواج الشرعي: طلب المرأة من ولي أمرها، وإقامة الوليمة،و حضور الشهود على هذا الإرتباط وإقامة الخطبة التي فيها يتعاهدان الزوجان بإتباع شرع الله فيما يخص علاقتهما،لأن إرتباط الذكر بالأنثى حق من عنده، هو الذى سخره لعباده،ولكن هذا الحق يأخذ بحق. وهذا هو الفرق بين الإرتباط الشرعي و الإرتباط المحرم وهو الزنا. و الزنا هي فاحشة قبيحة أي إثم كبير وطريقه سيء كما جاء في التنزيل الحكيم « وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) » سورة الإسراء،وفعل هذا الإرتباط الغير الشرعي والمحرم لقوله وحرم على ذلك على المؤمنين ويشترط جزاء عليه وهو العقاب. وعقابه حدده الله عز وجل بنفسه حيث أمر بتنفيذه فقال « الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3) » سورة النور. وتضمن هذه الآية أموركثيرة منها :

الأمر الأول : بدا تنفيد العذاب بالمرأة وهذا أمر غير مسبوق في الأمور الأخرى. فدائما يكون التفضيل للرجل على المرأة عند ذكرها معا، ولكن هنا الزانية أي المرتكبة الفعل، وهـذا لحكمـته وعلمه سبحانه وتعالى، لأن المرأة في هذا المجال لها الوزر الأكبر وتتحمل المسؤولية الكبرى، وبهذا يكون فعلها أكبر من الرجل، لأن هذا وقع بمحض إرادتها وتشجيعا منها لولاها لما وصل الوجل إليها وهذا بعدة طرق كالتبرج وإظهار زينتها ألم ينهاها عن ذلك ولا يبدين زينتهن ... ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن؟؟؟... وليضربن بخمرهن على جيوبهن أي كل وسائل جلب النظر إلى زينها منعها وأبعدهاعليه ..؟؟؟

ومخالفي لهذه الأوامر يجعل الرجل يميل إليها فيطمع الذي في قلبه مرض ألـم يوسى ربنا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وهذا زيادة على ما ذكرناه من النهى،هنا أضاف عدم الخضوع بالقول وعدم الخروج من البيت كثيرا. أين نحن من هذا؟؟؟ اللهم إن أعتدى عليها بالقوة أي عن طريق الإغتصاب.

- **الأمر الثاني :** الخطاب أي الأمر بتنفيذ أمره موجه لولاة و مسؤولي المؤمنين. ؟؟؟ فـاجلدوا

- **الأمر الثالث:** طبيعة العقاب الذي يتمثل في جلدهما (أي كل واحد منهما) مائة جلدة. والجلدة هو سوط لين له رأس واحدة ويتجرد الرجل من ثيابه، والمرأة ما يقيها ألم الضرب.

الأمر الرابع : إلزامية التنفيذ بحيث ينفذ العقاب بدون شفقة ولا رحمة، والدافع إلى تطبيق أمر الله هو الإيمان بالله واليوم الآخر أي إن كان الولاة والمسؤولون مؤمنون صادقون يخافون الله ويخافون الحساب يوم القيامة فينفذونه ؟؟؟

- **الأمر الخامس :** ينفذ العقاب بحضور الشهود أي يكون العقاب علانية لا سرا. وعدد الشهود يكون على الأقل ثلاثة وقيل أربعة أو هو عدد شهود الزنا والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء أو أكثر.

- **الأمر السادس :** أن جعل هذا النوع من النكاح، نكاح الزنا في مستوى ومرتبة نكاح الشرك حيث لا يحل للزاني و الزانية التزوج إلا بزناة مثلها، إذ لايمكن إرتباط الفاحش بالطاهر والمبارك، وبالتالي لا يمكن خلط الخبيث بالطيب .

2 – التناسل :

إن الهدف المشترك من الزواج هو التناسل والخلفة. فبه تتم رسال' ا نسان فوق هذه الأرض. ومن أسسه لرابط الأجيال بلا ختلاف أديانها ولغاتها وأصولها كسلسلة تشابك حلقاتها. ومن وراء الزواج ينتج النسل المكون من البنين والبنات، وهكذا على مر الأزمنة تخلف بعضهابعضا حتى ينقضى آخر نفر من ذرية آدم عليه السلام، وعندها تكون الحياة الدنيا أتت على نفسها وانقضت ودقت ساعتها ووصلت إلى أجلها أي المحتوم والمسمى الأجل المسمى . والزواج سخره الله لأداء هذه الرسالة الحياتية، إذ ينجر منا خلاله التناسل وتحضيرالخلفة وإعمار الأرض التي خلقت كمأوى لهذه البشرية أي آدم وذريته.

وعن ذرية آدم كلها،فأخبرنا الله في الآيات التالية فقال « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174) » سورة الأعراف .

جاء في الصحيح أن الله مسح ظهر آدم عليه السلام وأخرج ذريته كلهم كهيئة الذر (والذر قيل صغارالنمل، وقيل هو الهباء الذي يطير في الشمس)، وقيل غير ذلك . وبهذا سمى الأولاد بـ" الذرية " . وكلمة" النسل" من عملية خروج الجنين من بطن أمه، حيث ينسل ويخرج بالشدة . فأخرج أولاد آدم من صلبه ثم أخرج من ظهر أولاده لصلبه أولادهم. وأخرجهم من مسام شعر ظهره إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها"سم" مثل سم الخياط في النفوذ لا في السعة،فتخرج الذرة الضعيفة منها كما تخرج الصبيان من العرق السائل . وهكذا على حسب الظهور والجسماني إلى يوم القيامة نسلا بعد نسل كنحو ما يتداولون كالذر وهذا بنعمان وهو واد جنب عرفة ولهذه القيمة لعرفة جعل الناس يقفون بها كل سنة،وهو تذكير بالوقوف الأكبر غدا يوم القيامة الوقوف إذ جعله وقوفا مجرد من كل شيء لا من الثياب . وهنا نرى أن الله لا يأمر بشيء هكذا فسبحانك من إله حكيم

. إذا أخرج ذريته كاملة ، وميز المسلم من الكافر بأن جعل ذر المسلم أبيض وذر الكافر أسود. وروي أنه لما اجتمعوا، قال لهم الخالق القدير إعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بى شيئا فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن وإني مرسل منكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتابا. فتكلموا جمبعاوقالوا بلى شهدنا أنك ربا لا رب لناغيرك.فأخذ بذلك مواثقهم ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر إليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك،فقال رب هلا سويت بينهم ؟فقال إنني أحب أن أشكر. فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض،أعادهم إلى صلبه،فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق. ونقف هنا لأنه مازال كلاما كثيرا بما جاء به العلماء حول هذه الآيات .

ومن خلال ما سبق، فإن مصير الإنسان كإنسان وكوجود،متعلق ومرتبط باستكمال ونفاذ آخر نفر وآخر ذر من ذرية آدم،هذا هوأ جله المحتوم على هذه الأرض.وكذلك بإستخلاص العبرة من الآية الكريمة السابقة وهو أن الله سبحانه وتعالى حدد أعداد البشرية كلها قبل خلقها وأحصى كل شيء عددا، وجعل نهايتها تنقضي عن طريق الخلفة،إختفاء وراء إختفاء حتى يستنفذ الكل، ماذا يقول العاقل والمتأمل لخلق الله فإن المرء يعجز بحق أمام القدرات الإلهية...وحكمته وعلمه فلك كل الوقار يا الله حتى ترضى .

هذا من حيث وجود الإنسان ومدة إعماره الأرض. وبما أن الكون مؤسس على الإزدواجية،هناك عنصر آخر يكمل هذا العنصر الأول وينصب في كصير الحياة الدنيا. فهذان الزوجان يمثلان أعظم وأكبر زوجين.وهناك سر من أسرار القرآن يصب في مجال هذين الزوجين . وهذا السر موجود في سورة صغيرة بحفظها الكبير منا و الصغير،ولكن لا نبالي بها وتمر عليها مر الكرام. وإذا وقف عندها العبد وتأملها ، وتدبر آياتها لوقف على حقيقة عظمى وجليلة. هذه السورة هي سورة " الليل".وهي مدونة في المصحف الكريم في المرتبة التسعون، وتوسطت سورتي "الشمس والضحى" . وبالنسبة لنزولها تقدمت عليها وجاءت في المرتبة التاسعة ونزلت بعدها الضحى في المرتبة الحادية العشرة ثم الشمس في المرتبة السادسة و العشرون.وهذه السور الثلاثة لها صلة

ببعضها في مدلول نزولها من حيث الوظائف والأهدا ف المشتركة لأنها تمثل أزواجا كونية وشريفة ولكن نركز هناعلى الآيات الأربع الأولى من سورة الليل.وهذا كإنطلاقة للوصول إلى الهدف المرجو منه. يقول الله سبحانه وتعالى،بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى(1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى(2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(4)» فبدأ الله هذه السورة الكريمة بحالة الكون من غشاء وظهور ومن أسبابه الليل والنهار،ثم ذكر يأنه هو الذي خلق الذكر والأنثى أي الإنسان خاتمابسعيه في هذه الحياة الدنيا، هذا كصورة شاملة. وذكر آياتي الكون هنا وهما الليل والنهار هو القسم بهما. والقسم يأتي بخبره ، فخبره هنا سعي الذكر والأنثى بعدما ذكر سعي الليل والنهار وهو تغشي الليل وتجلي النهار ، فالليل هو الذي يغشى النهار أي فيحجب كل ما كان ظاهرا في النهار،و في النهار يتجلى كل ما كان خفيا بالليل،كما قال يغشى الليل النهار وهذا مسعى يدور بينهما،فيتعاقبان ويدوران ويتكوران ما دامت السموات والأرض حيث قال يكور الليل على النهار وبكور النهار على الليل(وسخر الشمس والقمر لنحفظ هذا سنعود إليه إن شاء الله) أماعن طرف المعادلة الثاني فذكر آياتي الخلق الجنسي وهما الذكر والأنثى بإسمها فقط لكن أخبرنا بأن سعيهم شتى وبين لنا هذا في سورة الشمس حيث قال « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) » ، ولما أتى بسعيهما بالجمع لأن كلامنهما سعيان، إما الفجور أو التقوى. ولا يفوتنا أمر آخر في هذه الآية هو أنه قدم الفجورعلى التقوى، لأن النفس دائما ما تميل إلى الفجور ألم يخبرنا خالقها

« وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53) » سورة يوسف، وأما عن التقوى فقدم الخير قبل الشر وهذا لمحبته لنا،ومن وراء أوامر ونواهيه فهو لحبه لنا وجاءت آيات كثيرة في هذا الشأن نذكر من بين من يحبهم الله إن الله يحب محسنين إن الله يحب المتطهرين إن الله يحب التوابين ....ولكنه جعل الطالب والمطلوب منا أن نحترمها. فكان هذا من الناحية الإجمالية لهذا القسم. رب سائل يسأل إذا وقف طبعا وتأمل في هذه الآيات، لماذا أقسم الله بالليل والنهار وكما رأينا فهما آيتي الكون ثم ذكر الإنسان

وسعيه وما هي العلاقة التي تربط بينهما، أو يقول أقسم وكفى، لا وألف لا. وسيظهر الجواب في آخر التدبر معا ونطلب التوفيق من الله سبحانه وتعالى ..

فالليل والنهار هما زوجان يمشيان مع بعض وكل له وظيفته وككل زوجين يلتقيان في الهدف المشترك.فقال سبحانه وتعالى وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى فهذه إحدى وظيفته الكونية.وهنا وظيفته هو الغشاء، نظرا لكون الليل جليلا عظيما،يسكن الخلق فيه عن التحرك ويغشاهم النوم الذي هو راحتهم هذه منافعه القيمة التي تعود بالدرجة الأولى على الخلق كلهم. لكن الوظيفة هنا يغشى النهار بظلامه إذ يحجب ما كان مبصرا وظاهرا وما كان مفضوحا بالنهار،ويستر ما يجري فيه وهذا هو الأهم. وعن النهار قال وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى فالنهار عكس الليل، فهو مظهر جمال الله إذ به ينكشف ماكان مستورا بظلمة الليل وما زاد وما نقص من نمو النبات والأشجار والطبيعة بصفة عامة وتحول أشياء التي لا نعلمها فهو أدرى بهذا الأمر سبحانه،زيادة على هذا المظهر فهو مجال الإسترزاق لجميع الأحياء من الإنس أو الحيوان : فيتحرك الناس لمعاشهم، والطيور من أوكارها والهوام من مكانها وهذا من رحمته الواسعة، وبالتالي فهذان الزوجان يتبادلان الأدوار لما فيه من ضرورة المنافع وبلوغ الأهداف لتحسين ظروف الحياة الدنيا.وتعاقبهما ضروري وحتمي يقول الله عز وجل « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) » سورة القصص.وللتذكير إطلعناعلى سعي كل واحد منهم لا مجال للإعادة .لنصل إلى ما أخفاه الله فأخبرنا بوظيفة الليل والنهار، لكن ما وظيفة الذكر والأنثى فجاء هنا في هذه الآية الكريمة من سورة الأعراف لقوله تعالى « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (آدم) وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا(حواء) لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ (غشاء الذكر) فَلَمَّا أَثْقَلَتْ (تجلي الأنثى) دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) » سورة الأعراف،.لا تنسى هذا الوضع الذي جاء هنا. فالله

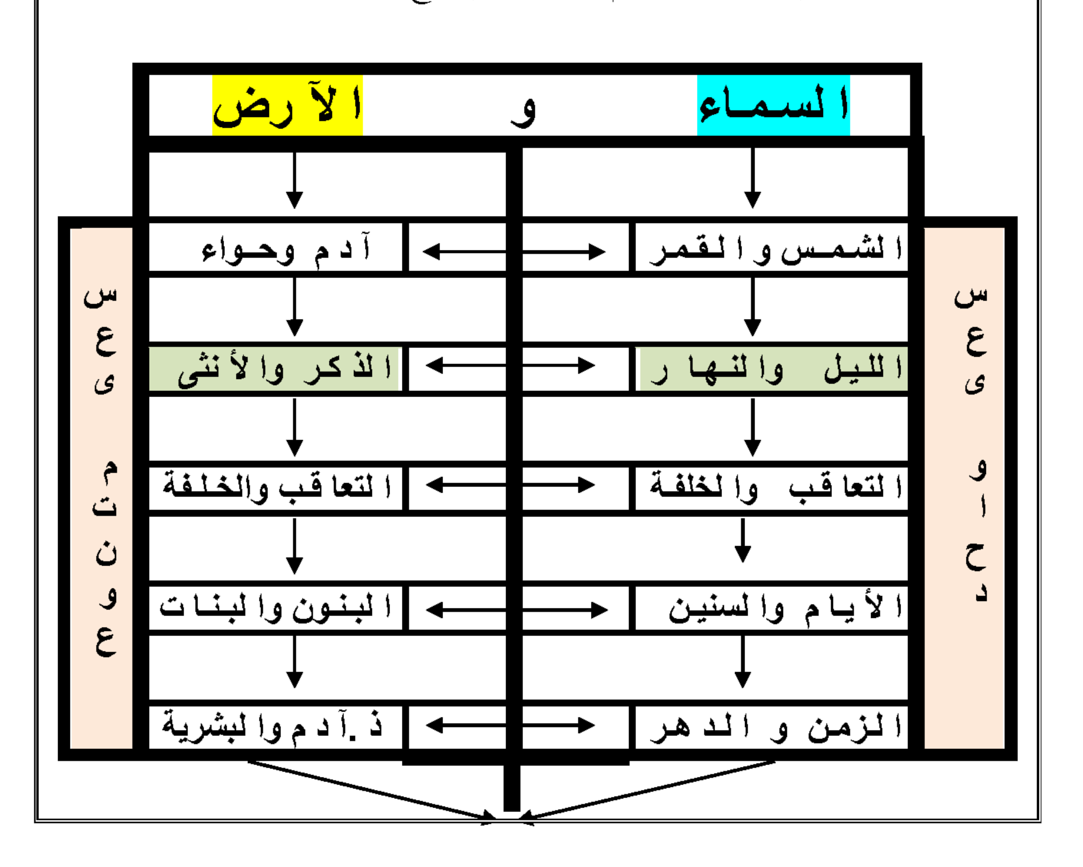
سبحانه وتعالى بين لنابأن الذكر يغشى الأنثى والأنثىتجلي ماوقع في الغشاء. وبهذا نصل إلى النتيجة التالية وهو أن الزوجين الإثنين الليل والنهار و الذكر والأنثى : لهما نفس العلاقة فيمت بينهما وهو الغشاء والتجلي. أي :

الليل و الذكر ← غشاء و النهار والأنثى ← تجلي

وكما لهما نفس العلاقة، فلهما نفس المسار، التعاقب يتعاقبان بإستمرار بدون إنقطاع يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر،كما جعل الأجيال والأمم تتعاقب وبالتالي الخلفة وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة - وهو الذي جعلكم خلائف الأرض .وسخر الليل والنهار والشمس والقمر(إرجع إلى الآية الأخيرة) وسخر للذكر و الأنثى " آدم وحواء "

وبهذا يكون الحال كهذا: الشمس ← آدم ، القمر ← حواء

وهنا نصل إلى قمة الأشياء وأعظم زوجين وهما السماء والأرض إذ جعل الشمس والقمر في السماء وجعل آدم وحواء في الأرض.وخلاصة القول أن الليل والنهار يمثلان الزمن والدهر، والذكر والأنثى يمثلان ذرية آدم، والكل يجري لأجل مسمى ألا وهي الساعة ونهاية العالم. والجدول التالي يوضح أكثر:



وهكذا يتبين أن الدهر وذرية آدم هما أساس هذه الحياة الدنيا.

تكوين المجتمعات:

إن الهدف الثاني من الزواج هو تكوين خلية من خلايا الحياة وهو لبنة من لبنات المجتمع، إذ به تتكون وتكبر المجتمعات والشعوب فوق هذه الأرض.وبالتالي تؤذي الرسالة الإنسانية وهي إعمار الأرض من جهة، ومن جهة أخرى نفاذ ذرية آدم عليه السلام وهذا عن طريق الخلفة. وتزواج هو وسيلة وغاية لهذه الرسالة، إذ من خلاله ينتج التناسل والتكاثر،لأن الله لم يخلق الأرض التي لا تعد مساحتها وشساعتها لفردين " آدم وحواء" فحسب، بل لهما و ذريتهما التي لا يحصى عددها ولا يحصيها إلا خالقها. فهو الذي بيده ملكوت السموات والأرض، وفي علمه عدد البشرية وعدد كل جنس وما يتعدد الذكور والإناث. فمنذ أن خلق آدم، وإنتشار البشر يزيد كل يوم،بل كل لحظة كما أنه هذا يأتي وهذا يذهب وهكذا تدور رحلة الحياة الدنيا. والزواج هو وظيفة ذاتية ومصيرية فالذاتية هو التمتع بالملذات الشهوانية ما بين الزوجين. أما المصيرية فينتج من هذا الرباط التناسل وجلب الذرية المكونة من اليبنين والبنات، وبالتالي تحضير الخلفة حتى يصبح مصيرا واحدا يربطهما، وهو إقامة أسرة وبناء بيت يأوي الأسرة تحت سقف واحد، ويخرج منه مستقبلا فروعا وخلايا جديدة للقيام بالدور الوجداني كما قام به ءباؤهم، وهذه هي سنة الحياة التي أرادها الله لخلقه.

وهذا البيت له دور هام، فبعدما كان كل واحد، سواء الذكر أو الأنثى مهتم بمصيره لوحده، وهذا قبل الزواج طبعا،فيصبح مصيرا واحدا ينصب على ذريتهما،وتنشأ روابط تفرضها ضرورة الحياة، وهما التعاون والتآزر والتودد والمحبة....وبهذا تصبح هذه الروابط متينة للسير جنبا إلى جنب للتغلب على مشقة الحياة ومصاعبها حتى تؤدي وظيفة البيت بعناية كاملة وتحلى الحياة. فكيف تكون حياة الإنسان لوحده. وبهذا نعود دائما إلى خالقناسبحانه وتعالى ونقول له فلك الحمد والشكر على عنايتك لنا وتوفير لنا أحسن ظروف الحياة.

والزواج هوخلية التكاثر كما رأينا سابقا، ومع باقي الخلايا الأخرى المكونة لنسيج البشرى ووظيفته هو تكوين الشعوب يقول عزوجل « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) » سورة الحجرات، والشعوب جمع شعب وهو أعلى طبقات النسب . فالمراتب هي سبعة .وكل واحدة تدخل في ما قبلهاويسمى الشعب بتشعب القبائل منه والشعوب على رؤوس القبائل،ولا ننسى في كل هذا النواة الأساسية والتي تكونت منها كل هذه المراتب وهذه النواة هي الذكر والأنثى أو الرجل والمرأة .وبهما تتكون الأسرة ثم تتوسع الأسرة ومنها ينطلق تكوين المراتب السبعة.

وهذه المراتب هي :

1 – الشعوب

2 – القبائل ⟵ في ا لشعوب

3 – العمائر ⟵ في القبائل

4 – البطون ⟵ في العمائر

5 – الأفخاذ ⟵ في البطون

6 – الفصائل ⟵ في الأفخاذ

7 – العشائر ⟵ في الفصائل

- هبات الله :

إن من أهداف الزواج كما نعلم هو التناسل أي إتيان البنين والبنات،وهذا شيء طبيعي ولكن من وراء هذا الإنتاج إن صح التعبير، فهوخالق حكيم عليم، يسير الأمر كيف يشاء, فعلى الذكر إلا أن يمني والباقي عليه سبحانه وتعالى حيث يقول « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) » سورة الواقعة، وهذا العطاء من البنين والبنات من محض إرادته وخصوصيته فله كامل التصرف فيه وهو المدبر، له لو تركه لغيره أي لرغبات الإنسان مثلا، لوقع إضطراب وخلل وفساد العملية برمتها وإنحراف الرسالة الوجدانية على وجه هذه الأرض. ونعرف كل المعرفة ميول الناس وخاصة الرجال منا كلنا نميل إلى جلب الذكور أي نفضل الذكور على الإناث، ومن يأتنا بالأنثى التي جعلها الله وإختارها لأن تكون هي مأوى نشأ خلقه في بطنها. ولهذا أخذ على عاتقه النسل لإستكمال ما خطط له و سمى الله هذا العطاء بالهيبة يقول الله عز وجل في هذا « لِلَّهِ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(50) » سورة الشورى .

وفي هذه الآيتين تمخض أربعةحقائق :

الأولى : جلب الذرية هبة منه

الثانية : نوعية العطاء

الثالث : الحرمان من الذرية

الرابع : حسن التدبير

أولا : الهبة : جلب الذرية أو الأولاد من صنعه وقضائه ومشيئته فهو الذي بيده العطاء،يهب لمن يشاء وما يشاء ويحرم من يشاء وما يشاء، فهو المتصرف الوحيد في ملكه وفي عطائه. وليس للمخلوق إلا الإقتناع والرضا بما قسم الله له. وهذا العطاء من البنين والبنات فهو هدية منه وأمانة في نفس الوقت لأن لا أحد يخلق أولاده بنفسه وجعل الذرية أمانة. فجلب الأولاد هي أمانة، والأمانة يجب رعايتها والحفاظ عليها. فليعلم الإنسان أن الأولاد ليسوا ملكا له،فسيرجعها الله في أي وقت شاء سواء كانوا أمواتا" لله ما أعطى وله ماأخذ" أو أحياء بأنهم عند بلوغهم وزواجهم فسيرجعون إليه بدخولهم في خلايا المجتمع والذوبان فيه.

فهذه هي سنة الحياة. والأمانة ولابد وأن تحفظ وتراعى.فهي مسؤولية عظيمة. وهذا مما جعل تكوين الأسرة ورعايتها من أولويات حفظ الأسرة وهي تحضير الخلفة.ولبلوغ هذا لابد من إستقرار الأسرة من جو وتفاهم وإحترام شرعه فيما شرعه بنفسه وأول شرط جعله لهذا الإستقرار هو المودة والمحبة بين الزوجين. ونختم هذا الموضوع بقول أحد الحكماء :

وما الأموال والأولاد إلا ودائع

ولابد من يوم ترد فيه الودائع

الثاني : نوعية العطاء:

ففي هذه الآية بدأ الله سبحانه وتعالى ب" الإناث" وهذا دليل قاطع هو الذي يمنح ويعطي. وكما رأينا سابقا، لو كان هذا بيد الأولياء وخاصة الأباء لفضلوا الذكور على الإناث. وأخبرنا كيف كان رد فعلهم عندما كان يبشر أحدهم بالأنثى« وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) »سورة النحل. والأمر بيده سبحانه وهو الذي يخلق في الأرحام ما يشاء لا إله إلا هو إليه ا لمصير .ثم جاء بذكر الذكور لوحدهم كذلك أي إما إناث فقط وإما ذكور فقط،يعطي لهذا إلا الإناث ويعطي لهذا إلا الذكور.

والأمر الثالث: المزيج بين الذكور والإناث، وقد يكون الذكور أكثر من الإناث أو العكس، والأمر الرابع في هبة الله هو أن يحرم لا إناثا ولا ذكورا أي يجعل العقم فيه وخلاصة القول، هذه الآية جاءت بأربع حالات من الهبة.

1 – هبة إناث فقط

2 – هبة الذكور فقط

3 – هبة الذكور والإناث معا

4 – ا لعقم

فائدة : عن هذه الآية قال إبن عباس رضي الله عنهما : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا » يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لأنهما لم يكن لهما إلا البنات « وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ » يريد إبراهيم عليه السلام لأنه لم يكن له إلا الذكور،« أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا» يريد محمد صلى الله عليه وسلم فإنه كان له من ا لبنين ثلاثة على الصحيح : القاسم وعبد الله وإبراهيم، ومن البنات أربع : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة .ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام. لكن حمل الآية على العموم أولى لأن الأمر نفاذ قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء.

ولكن لا يفوتنا شيءعظيم في غاية الأهمية وهو التحكم السليم وا نضباط الأمور في تدبير هذا الشأن. وهو تصرف بالحكمة وعلم الغيب.وهذا الأمر العظيم و رغم العطاء المعقد والمتنوع والمختلف والحرمان في جميع البشر

وقد وقفناعلى هذا، لكن إن ذلك على يسير.ورغم كل هذه الأعداد من البشر التي تعد بالملايير،لم يقع خلل ما من حيث أجناسها،فهل رأينا أو سمعنا يوما ما سواء وقع في الأمم السابقة أو حاضرة، تناقص في فئة من الفئات الجنسية أي لم يوجد،ولم يبقى أو اختفى صنف الرجال أو النساء للزواج، مع العلم أن حكمة هذا الأمر دائما في سريان مستمر،و الحوكة متشابكة، فهؤلاء (كثيرون وقليلون) يموتوا نقبل سن الزواج وهؤلاء (كثيرون وقليلون) يموتون بعد البلوغ ونقس الشيء الحركية الولادة،فهذا يأتي وهذا يذهب، وتبقى الأمورطبيعية. وهذا الأمر العجيب هل إلتفت إليه الإنسان؟وقف عند هذه الآيات« اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) » سورة الرعد، و قال تعالى«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) »سورة فاطر. « وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28) » سورة الجن.

هذه الآيان تجيب على كل التساؤلات،إن كان هناك سؤال .زالزواج هو نوع من الإزدواجية المكاملة. والتتامل بين الذكر و الأنثى هدفه الولادة وتحضير الخلفة.محطة للحمد والشكر:

إن الزواج مخرج مصيري في حياة الإنسان وهو محطة أساسية وضرورية، ولابد من الوقوف عندها والتأمل في مغزاها. وهي محطة يتم فيها تبادل المهام بين الآباء والأيناء من جهة ومن جهة ثانية، الوقوف واستخلاص العبر،لأن الزواج وهذا عند إقامته ليس فرحا ومرحا ولهوا وأكلا وشربا وإقامة المراسيم فحسب، بل هو يتعدى هذا المظهر النفسي والمادي. وهذه المحطة تخص الأباء والأبناء المقبلين على الزواج :

الآباء : الرجوع بذاكرتهم إلى الوراء وكيف مروا بمراحل التكوين الجسدي والفكري والتربوي ،شكر الله بأنه حفظهم حتى بلغوا سن

الرشد ومكنهم من الزواج والتمت به وجلب هؤلاء الأولاد.

- شكر الله على ان أطال في عمرهم حتى حضروا هذه المراسيم الشرعية ودخول أبنائهم في قفص الزواج.

- شكر الله وحمده على أن حفظ أولادهم وأطال في عمرهم حتى بلغوا هذه المرحلة لأداء الواجب.

- شكر الله وحمده، وخاصة أباء البنات أن أوصلوا بنتهم إلى بر الأمان "بكرا وطاهرة " وحفظه من العار.

- شكر الله وحمده بأن مكنهم من حفظ الأمانة وتحضيرها ثم تسليمها إلى المجتمع ليقوموا بدورهم مع الآخرين وأداء رسالة الخلفة.

- شكر الله وحمده على إنتهاء مسؤولياتهم نحو هؤلاء الأولاد وأصبحوا غير ملزمين بهم من ناحية النكليف و الإعتناء أي لم يصبحوا عبئا عليهم.

الأبناء :

- شكر لله وحمده على حفظهم وإطالة العمر حتى بلغوا هذا المستوى من التضج.

- شكر الله وحمده أن الله أكرمهم بهذه الزيجات

- شكر الله وحمده على التمتع بهذه العلاقة الزوجية

- طلب الرحمة لأبائهم على تربيتهم وهم صغار كما أمر الله سبحانه وتعالى« وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا(24) » سورة الإسراء.

- حمد الله على تسلمهم المشعل لتحمل الأمانة بدورهم

- حمد الله على تحمل المسؤلية بعد أن كانوا غير مسؤلين

- حمد الله على التكيف مع إقامة الجديدة.

- الشكر لله على تأسيس أسرة وبيت.

- طلب الإعانة من الخالق والتوفيق لأداء رسالتهم في هذه الحياة الدنيا كما أداها آباءهم.

إذا فالزواج هو محطة حمد وشكر على كل هذه المنافع والتي تستحق من المرء أن يقف عندها. فلك الحمد والشكر يا الله على كل هاته النعم.

ما قبل الزواج

-الزوجات المحرمة

-التحضير للزواج

-عقد الزواج

الزوجات المحرمات:

نكاح النسب :

هناك نساء لا يحل الإرتباط بهن وهذا للتذكير،فبدأ الله بنساء الآباء فقال« وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا(22) » . سورة النساء. وبعد هذا مباشرة فنهانا وحرم علينا الزواج من بعض أصناف النساء، وهي ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : نساء النسب

الصنف الثاني : نساء الصهر

الصنف الثالث : نساء من الرضاعة

- **نساء النسب :** حرم الله علينا التقرب والزواج من سبعة :

الأم، البنت ، الأخت، العمة، الخالة، بنت الأخ،وبنت الأخت .

- **نساء من الرضاعة وهما إثنتان :** الأم (التى أرضعت) والأخت من الرضاعة

- **نساء الصهر : وهن خمسة :**

أم الزوجة، بنت الزوجة (الربيبة)، جمع أختين. و الحليلة (زوجة الإبن من الصلب) والآية التي جاء التحريم فيها هذا النوع من النساء هي : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا(23) » سورة النساء.

ومجموع الآيتين فعدد النساء المحرمات هو :

- **نساء النسب : 7**
- **نساء الصهر : 5**
- **نساء الرضاعة : 2**

المجموع : 14

والملاحظ من هذه الآيتين، إن الآية الأولى شملت نساء الآباء فقط،وجاءت بالنهي« وَلَا تَنْكِحُوا» وبين مدلول النهي بأن هذا يعتبر فاحشة ومقتا حيث من إعتبر من يقوم بهذا الفعل فإنه يرتكب فاحشة ومقتا، وهذا أمر قبيح إستحق أشد البغض من الله. وقال« وَسَاءَ سَبِيلًا» أي قد يسلك طريقا قبيحا وخبيثا .ومن خلاله نستخلص درجة الآباء عند الله وإحترام الروابط بين الإبن والأب. وهذا يجرنا إلى نفس الساق لما نهى الله الصحابة من أن يتزوجوا بنساء النبي صلى الله عليه وسلم من بعد وفاته « وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا(53) » سورة الأجزاب. كل له درجته وقيمته الأخلاقية.

أما الآية الثانية جاءت بالحريم القطعي لاجدال فيه وخصت نساء النسب ونساء الرضاعة. أما نساء الصهر،فقد أوضح ذلك جليا إذ فتح فجوة ورخصة بالنسبة للربيبة (بنت الزوجة من رجل آخر) إذا لم يدخل بالأم حل له أن يتزوج بها.أما بالنسبة للحليلة وهي زوجة الإبن وهنا إشترط هذا التحريم بأن يكون هذا الإبن من صلبه. والآية في هذا الموضوع نزلت ردا على المنافقين حين تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت حليلة زيد وكان الرسول متبنيا له أي ليس بإبنه من صلبه، فقالوا "إن محمدا تزوج بحليلة إبنه" وكذلك فرق بين الأختين في وقت واحد أي الجمع بينهما وكل هذا من مكارم الأخلاق وإحترام الأعراف. وعن نساء الرضاعة نذكر الحديث الشريف« يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» رواه الترميذي ومسلم.

نكاح الشرك :

ثم جاء بنكاح الشرك فنهى عن نكاح الشرك، يقول سبحانه وتعالى « وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221) » سورة البقرة ،فبل المتابعة في صلب الموضوع لابد من الوقوف لحظة، رب قارىء لا يعير أي إهتمام ببعض الجزئيات أو ربما لم يلاحظها. جاء في الآية الكريمة ذكر الفعل ولا تنكحوا مرتين،لكن جاء فيه الضمير" ت " بالفتحة أما الثاني جاء الضمير فيه مضموم أي بالضمة، لماذا يا ترى ؟

ففي هذه الآية نجد فيها خطابين : الأول موجه للرجال لأن الرجل يزوج نفسه كما تبين في مذهب مالك. أما الخطاب الثاني موجه للأب أو ولي الزوجة. وهذه الحركات من الجزئيات ولكنها بمصداقية القرآن وهو أنه من عند الله وأنه لا يسهى ولا ينسى سبحانه وتعالى فقال عن زواج البنت فا نكحوهن بإ د ن ا هـ،لهن أي الأب هو الذي يزوج إبنته لا تتزوج لوحدها ولهذا نبه الله إلى هذا ولابد أن نذكرفي هذا الصدد((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82))).سورة النساء، والآية جاءت بشطرين ،فالشطر الأول جاء بالنهي والشطر الثاني جاء بمدلول النهي .فالشطر الأول جاء بأمرين هامين :

الأمر الأول :

1 – تفضيل أمة مؤمنة على مشركة جميلة تعجب الرجال.

2 – تفضيل عبد مؤ من على مشرك جميل ويعجب .

فالخطاب صريح " أيها المؤمنون لا تتزوجوا ولا ترتبطوا بأ صحاب الشرك أي ملة الكفر". وسبب نزول هذه الآية " أن رجلا من

الصحابة كان عاشقا إمرأة في الجاهلية،فلما أسلم إجتمع بها في مكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فراودته عن نفسه

قال لها قد حال بيني وبين ما تطلبين، الإسلام فقالت له هل لك بالتزوج بي، فقال لها حتى أستأذن رسول الله،فلما أخبره نزلت هذه الآية. وكذلك كان وقت ذلك من العيب الزواج من أمة ويرغبون في زواج حرة مشركة .وكذلك واقعة أخرى في هذا الصدد أن عبد الله بن رواحة وحذيفة بن اليمان كان عند كل منهما أمة، فأعتقها ثم تزوج بها.

الأمر الثاني :

جاء بالحجة والقصد من هذا المنع كما جاء في الآية وهو أن المشركين يدعون للكفر والشرك بالله،بدعاء أزواجهم إلى الشرك بالله وترك الإسلام والدخول في صفوف المشركين وبالتالي تضعف صفوف المسلمين، حكمة بالغة.

وفي الختام،جعل الله نكاح الشرك في مستوى واحد مع نكاح الزنا: الخبيث يألف إلا مع الخبيث. يقول الله عز وجل((الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(3))) سورة النور.

إختيار الزوج :

الحمد لله والشكر لله الذي أنعم علينا بنعمة الزواج هذا أولا،ثم له الحمد وله الشكر على أن أطال في عمرنا نحن وأبناؤنا حتى يغنا سن الرشد،وهيأنا للدخول في مصف الإزدواجية،وثالثا له الحمد وله الشكر حتى يرضى بأن فضلناعلى سائر المخلوقات،بحيث جعلنا نزوج وتصبح أزواجا بمحض إختيار العنصر المكامل لهذه الإزدواجية، لم يقيدنا كما قيد الأزواج الأخرى الذي إطلعنا على بعض منها في محور الإزدواجية،فقيدها وزوجها منذ بداية خلقها.

وهذا التفضيل كما جاء هنا هو البعث عن العنصر الملائم والذي يناسبنا لتكوين الزوجين من جهة وإختيار رفيق الدرب للتعاون على أداء المسؤولية الخاصة بهدف الزواج .ومرة أخرى فلك الحمد والشكر حتى نرضى على هذا التفضيل والعناية بها.ماذا يريد الإنسان أكثر من هذا ؟وحتى يبلغ الإنسان، والمسلم خاصة مبتغى هذه الرسالة الربانية لابد من التحضير لها جيدا ويبقى التوفيق من الخالق وهذا التحضير يحتوي أولا وقبل كل شيء إنتقاء العنصر سواء زوج أو زوجة بتدبير وحكمة وإلمام ببعض الخطوات التي ينطوي عليها الزواج حتى يجعل الله فيه الخير والستر والبركات بإذنه تعالى. ولنامجال واسع في هذا الباب أي البحث عن الزوج المناسب من توجيهات من القرآن الكريم أولا،ثم من رسولنا صلى الله عليه وسلم ومن بعض الرسل والأنبياء ومن بعض الحكماء. وأول شيء على المسلم بعد بلوغه سن الرشد يستحسن أن يتطلع إلى الزواج،لأن الزواج المبكر يقي المؤمن من التقرب من النكاح الحرام وهو الزنا، إن كان الفقر يمنع هذا فأرشد الله الشباب الفقراء بالإستعفاف،

والإستعفاف هو إمتناع عما لايحل لداعي الطهر و صون النفس بالإبتعاد عن الحرام،يقول الله عز وجل « وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ(33) »سورة النور.وهذه الآية تشير إلى الفقراء الذين لايستطيعون الزواج،فعليهم أن يجتهدوا في طلب العفة وتحصيل الأسباب،وذلك يكون بالإبتعاد عن النساء والغلمان،ويكون هذا بملازمة الصوم.وفي نفس السياق نجد وصية نبينا صلى الله عليه وسلم ،فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (مرفوعا) أنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يامعشر الشباب من إستطاع منكم الباءة (والباءة هو الزواج) فليتزوج،فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج، وإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أى وقاية) ". ويكون هذا بترك إستعمال العقاقير التي تقوي النفس،وإستعمال ضدهاحتى لا تقوى .

والله عز وجل يطمئن الفقراء و يحثهم على الزواج،فبضله يعينهم يقول سبحانه وتعالى« وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) » سورة النور.وهذا فضل موجه للأباء إن كان الإصلاح في الطالبن للزواج فزوجوهم،لا يمنعكم عن هذا فقرهم لأن الله سيعينهم

بعد زواجهم. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم أطلبوا الغنى بالزواج . الأيامى جمع أيم يطلق هذا الإسم على كل من الرجل والمرأة الغير المتزوجين سواء سبق لهم الزواج أم لا.فبالنسبة للمرأة سواء كانت بكرا أو ثيبا، والأمر الموجوب هو خيفة ا لونا على المرأة والرجل أو إضطرت المرأة على النفقة لكنا المرأة يزوجها وليها والرجل يزوج بنفسه إن كان راشدا أو أذن له وليه وهذا مذهب الإمام مالك .

وعن الزواج المبكر دائما يتول رسولنا صلى الله عليه وسلم إن لنفسك عليك حق وقال كذلك تناكحوا تناسلوا فإنه مباهي بكم الأمم يوم القيامة. إن المرحلة التي تسبق الزواج وإرتباط الزوج بزوجه فهي مرحلة هامة وحساسة وفي غاية الإهتمام والتدبير الذي بني عليه العش الزوجي والمصير الواحد. ولابد على المؤمن أو المسلم أن يتسلح بالحكمة والرزانة والصبر والبحث الصادق حتى لا يندم على إختياره،ولكن فوق كل هذا يطلب من الله أن يوفقه ويسدد خطاه إلى ما فيه الخير والصلاح والله هو المعين.

وفي هذا الصدد لابد من إطلاع على بعض من وصايا الرسول والأنبياء والحكماء التي تصب في تحضير الزواج الناجح بإذنه تعالى.وخير بداية تكون دائما من القرآن الكريم يقول الله عز وجل« الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26) » سورة النور.هذه الآية نزلت في حق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وهذا لما رميت بالفاحشة فبرأها الله سبحانه وتعالى. والقصة معروفة لكن هناك كلمة عن التبرئة.

فائدة : قال القرطبي رحمه الله و بعض المحققين أن يوسف عليه السلام لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد،وأن مريم لما رميت بالفاحشة برأها على لسان ولدها عيسى عليه السلام، وأن عائشة لما رميت بالفحشاء برأها الله سبحانه وتعالى ولنعود إلى الآية، وأول شيء نلاحظه هو أنها بدأت بذكر النساء قبل الرجال، وهذا لما للمرأة من دور كبير في صلاح الأسرة،وبالتالي صلاح المجتمع كله. والبحث عن الطيب يكون من الطرفين حسب ما جاء في الآية الطيبات لـ.... والطيبون لـ...بيث الزوج يبحث عن الزوجة الصالحة،والزوجة يبحث لها عن الزوج الصالح كذلك لا يمكن أن يلتقي الخبيث مع الطيب لأن الزوجين بتكاملان في المنفعة العامة, فالخبيث لا يكون إلا مع الخبيث والخيث لا يكون مع الطيب.وهذا هو الحرص عن عدم إختلاط الخبيث بالطيب أو العكس لأن إرتباطها لا يعمر طويلا،وإذا عمر تكون المعاشرة سيئة, فالخبيث لا يكاد يألف غيره والطيب كذلك. وكما جاء في الآية « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ(71) » سورة التوبة،وكما جاء كل إناء بما فيه ينضح ،الخير صدق في إرتباط المؤمن بالمؤمنة، وسياقا لهذه الآية يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة من أعطهن،أعطى خيرى الدنيا والآخرة : لسانا ذاكرا وقلباشاكرا وبدنا صابرا

وزوجة مؤمنة.فالزوجة المؤمنة تخاف ربها وتقف عند حدودها ولا تتحداها(وهذه الحدود سنتطرق إليها في حينها).كذلك بالنسبة للزوج،ورسول الله ينصحناويوجهنابتقديم مقاييس إختيار الزوج لبناتنا،فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"إذا جاءكم أحد من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير"رواه الترميذي و صححه الألباني. وصية تستحق كل التقدير وإتباعها وجعلها نصب أعين الآباء. وفي هذه الوصية نجد ميزتين : " الدين والأخلاق" .

وزيادة على ما سبق،فالمقبل على الزواج لابد وأن يبحث عن العرق وأصل الزوجة، و جاء في الأثر:" تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ومثله،قول :" أنظر إلى أي شيء تضع ولدك فإن العرق دساس. فهذه وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجهها للشباب المقبلين على الزواج أن ينظروا قبل كل شيء إلى عرق المرأة وأصلها وسلالتها لأن الأبناء ولابد وأن يكون لهم بعض الصفات من الأجداد وهي وراثية.ولهذا إذا كان العرق أو الأصل صالح فيكون الأولاد ذو صلاح بإذنه تعالى، زيادة على الوراثة العضوية ....

والنساء أصناف،لنرى البعض منها.فعن داود وسليمان عليهما السلام : قيل إستشار رجل داود عليه السلام في الزواج، فقال له"سل سليمان وأخبرني به" فصادفه إبن سبع سنين فائدة "إن سليمان ويحيى آتاهما الله الحكمة وهما صبيان كما جاء في القرآن الكريم عن يحي « يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » و قال تعالى « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا » .وكان سليمان يلعب مع الصبيان راكبا قصبا،فسأله الرجل عن الزواج ، فقال :عليك بالذهب الأحمر والفضة البيضاء واحذر من الفرس يضربك فلم يفهم الرجل لغز هذا الجواب،فقال له داود الذهب الأحمر هو المرأة البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن ورائهما أي من بعدهما الفرس الجموح. والفرس الجموح هو الفرس الذي يعض صاحبه.ودائما في أصناف النساء، فهذه حكمة أخرى في إختيار الزوجة .

قيل النساء ثلاثة: واحدة لك ،وواحدة عليك، وواحدة لك وعليك، أما التي لك، المرأة البكر فقلبها وحبها لك ولا تعرف أحدا غيرك (ولكن أين نحن من هذا الصنف، اللّهم إذا توجهنا نحو العائلات المحافظة، فلربما نجد هذا الصنف...) وأما التي عليك فالمرأة المتزوجة ذات ولد، تأكل مالك وتبكي على الزوج الأول،وأما التي لك وعليك إن كنت خيرا لها من الأول فهي لك وإلا فعليك والمؤمن عليه أن يبحث عن المرأة التي تعينه في حياته و على آخرته ، وتبني معه البيت ويكون الإستقرار لأن العشرة طويلة وهذا ما جاء في دعاء داود عليه السلام ، سأل أربعة وتعوذ من أربعة وللفائدة يسرد كاملا، فقال يا رب إني أسألك أربعة وأعوذ بأربعة، أما اللواتي أسألك: فإني أسألك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعينني في دنياي وآخرتي ،وأما اللواتي أعوذ

منهن فإني أعوذ بك من ولد يكون علي سيدا ومن إمرأة تشيبني قبل المشيب ومن مال يكون علي عذابا ووبالا ومن جار إذا رأى مني حسنة كتمها وإذا رأى سيئةأ فشاها. إنه بحق دعاء يستحق طلبه و الدعاء به. وربما كما لاحظتم، وخاصة الشطر الأول منه يذكرنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تقدم آنفا.

وأكثر شبابنا اليوم أول ما يقدم عليه في الزواج هو التوجه إلى المرأة الجميلة والحسناء متجاهلا أخلاقها وعرقهاوخاصة ونحن في عصر التبرج واللباس الضيق الذي يكشف جسمهاويصورها تصويرا دقيقا،وهاهو رسولنا يحذرنا من هذا فيقول المصطفى صلّى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدمن قالوا وماخضراء الدمن قال المرأة الحسناء في البيت السوء.وهي تبصر الشباب إذا إعتبروها وأخذها بجد،أن لا ينظروا إلى جمال المرأة فقط، أن الجمال ظاهري يظهر الصورة وأناقة الجسم ولكنه لا يعكس المظهر الباطني. والجمال في باطن المرأة وهو عقلها وأخلاقها وتربيتها وسلوكاتها. فعلى الشباب أن يتطلع إلى الوسط والبيت الذي تربت وترعرعت فيه .

وفي حكمة داود عليه السلام إن المرأة السوء ينجو منها من رضي الله عنه. وفي مقارنة بين المرأة السوء والمرأة الصالحة هاهي حكمة قيل المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج الموضع بالذهب كلما رآها تفرمت عيناه برأيتها.وقيل كذلك إن المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عتق من يشاء من عباده .

وعن المرأة العاقلة قال عنها سليمان عليه السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه. وهذا يجرنا إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمر ألا أخبرك بكنز المرء قال المرأة الصالحة إذا نظر إليها زوجها أسرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته. وقيل إن المرأة السوء تكون عبئا ثقيلا على زوجها فنكدر حياته وتجعلها جحيما لا يطاق، هذا عليه ، أما على أولادها فينعكس أخلاقها عليهم ويكونوا عالة وضرارا على ا لمجتمع.

أما المرأة الصالحة فتجعل الحياة الزوجية مشرقة وندخل السرور على زوجها وبيتها وينعكس صلاحها على ذريتها في تربيتهم وأخلاقهم ويكونوا نافعين لمجتمعهم. وبالتالي فلا ننسى كذلك الزوج، إذا كان إيمانه وأخلاقه فاضلة فتأمن منه ولا تخاف ويا سعادتها لأن دينه يصونوها من كل سوء والتعدي بحدود الله، وبهذا يتكامل الطرفان على أداء المهمة السامية ألا وهي إنشاء خلفة صالحة بإذنه تعالى. و الحديث التالي بين أن المرأة عامة تختار بثلاثة : المال والجمال والدين فنصح بالنيل إلى الدين تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك هذه النصيحة قدمها لعمر وللشباب.

والنقطة الأخيرة وهو أن الإنسان سواء الزوج أو الزوجة يرضى بما كتب الله له ويخلصان في عشرتهما. ونأخذ من هذا الرضا نموذج: كانت إمرأ ة"حطان" من أجمل النساء وجها وكان هو من أقبح الناس وجها، قال لها يوما" أنا وأنت في الجنة إن شاء الله تعالى.فقالت له وكيف لك ذلك ؟فقال إني أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت والصابر والشاكر في الجنة"

ونختم هذا المحور الثري بالآيات البينات من القرآن الحكيم و الأحاديث والوصايا وأراء الحكماء، بتوصية، توصية امرأة لإبنتهاعند زواجها, هذه الأم لم تتعلم في الجامعة، ولكن دينها وتربيتها وأخلاقها وتجربتها في المعاشرة الزوجية جعلها تتسم بالفضائل الشريفة. وهذا مما جاء، لما خطب عمرو بن حصتر الكاندي إلى عوف معلم العساني بنت، وليلة دخوله بها أقبلت أمها توصيها:

" أي بنيتي إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت إلى رجل لم تعرفيه،وقرين لم تألفيه،فكوني له أمة فيكون لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا ليكون لك دخرا:

فأما الأولى والثانية: فالتفقد لمواقع عينيه وأنفته ولا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح

وأما الثالثة والرا بعة : فالرضا بالقناعة وأحسني له السمع والطاعة

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ومنامه،فشدة الجوع ملهية وتنغيص النوم مغضبة

وأما السابعة والثامنة: فالإحراز لماله والإرعاء على خشمه وعياله

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعص له أمرا ولا تفشي له سرا، فإنك إن خالفت له أمرا أوغرت له صدره وإن فشيت له سره لم تأمني غدره وإياك ثم إياك والفرح بين يديه إدا كان مهتما أو الكآبة بين يديه إذا كان فرحا" .

فأنجبت له هذه الزوجة الصالحة الحارث بن عمر جد إمرؤ القيس، الملك الشاعر.يا ليت تكون الأمهات هكذا والزوجات هكذا.

عقد الزواج :

الحمد الذي كرم بني آدم وفضله على كثير من المخلوقات. بعد التكريم الأول الذي جعله يدخل في الإزدواجية بمحض إرادته ،ثم التكريم الثاني جعله يختار العنصر الثاني لهذه الزوجية.التكريم الثالث أن جعل هذا التزويج يشاع له ويحضره الأهالي والأقرباء وتقام له شرائع وحدود وتقام له الوليمة ويطعم فيها الطعام يأكل منه الغني والفقير وتقام فيه الأفراح فلك الحمد والشكر يا الله على كل هذا النكريم وهذا التفضيل.

إن إرتباط الزوجين لا يتم إلا بعد إجرءات شرعية تجري في مراسيم، ولن يصح الزواج بدونها ويتم فيها عقد الزواج.فعقد الزواج أوعقد النكاح غالبا ما يكون في مأدبة تسمى بالوليمة. والوليمة باتفاق جميع العلماء فهي سنة مؤكدة،وليست واجبة. والرسول صلّى الله عليه وسلم أولم في جميع نسائه،وأكبر وليمة أقامها في زواجه بزينب بنت جحش مع العلم أن الله عزوجل هو الذي زوجها له ولم يحضر شهود والوحيدة التي لم يقدم فيها صداق،إذا فأولم ما لم يولم في أزواجه الأخريات،وهذا حمدا وشكرا لله، فأقام أكبر وليمة حيث أكعم الحاضرين المدعوين لها لحما وخبزا حتى بقي .

وتلبية الدعوة للوليمة واجبة فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليأتها".متفق عليه، والدعوة للوليمة لا تكون مميزة بين الغني والفقير،فعن أبي هريرة أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :" شرّ الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء، من لم يجب الدعوة فقد عصى الله و رسوله".رواه البخاري ،إذا فالتلبية لها ضروري لأنه ببساطة من جهة فهي بمثابة الدعاية ونشر الخبر بأن فلانا تزوج بفلانة ويكون للزواج رواجا وصدى كبيرين ويبعد كل قذف ورمي عند رؤية هذين الزوجين معا،من جهة أخرى إذا أقيم العقد فيها فيكونوا شهودا عليه على العقد. وهذا هو الفرق بين النكاح الحلال الحرام الذي يقام في السر.

إن عقد الزواج له عدة جوانب:

1 - مفهوم عقد الزواج

2 – شروط إقامته

3 – هدف عقد الزواج

4 – صغة عقد الزواج

1 – مفهوم عقد الزواج :

مفهوم عقد الزواج إنما مثله كأننا نأتي بالرجل المعني بالزواج والمرأة المعنية بالزواج ونقابلهما وجها لوجه وهذا أهم ، لا حالة غير هذا، ويلفب المرأة أو وليها أو موكلها حبلا ثم يعقد العقد لقوله تعالى « وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ» وينطق بكلمة " زوجتك فلانة بنت فلان" وتصبح هذه المرأة مرتبطة بهذا الرجل الذي أصبح زوجها وبالتالي أصبحا زوجان مكاملان. والمعنى من هذا الإرتباط بالحبل ومعقود،لا تستطيع ولايمكن لها ولا يحل لها أن تذهب لرجل آخر، غير زوجها هذا هو المفهوم الصحيح لعقد الزواج وبهذا يسلم الأمر وتصير موكلته بيد زوجها. إذا ثبت الله العشرة حتى تفرق بينهما الموت فتبقى هذا الحبل معقود حتى يفرق بينهما وهو وفاة أحد منهما،فتحل العقدة لوحدها وهذا للضرورة المحتومة وإذا ما وقع بينهما لا قدر الله إتفاق واضطرا للفراق فهو الذي

يحل العقدة بكلمة" أنت طالق" أي أنت حرة فكأنه يقول لها" أنت أصبحت غيرمرتبطة بي فلك أن ترتبطي بأحد غيري.وخلاصة القول إن عقد النكاح يعقد من طرف ولي المرأة بكلمة" زوجتك"وتحل عقدة النكاح من طرف الزوج بكلمة " أنت طالق".

2 – شروط عقد الزواج :

لا يقام عقد الزواج إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية :

- حضور أب البنت أو موكلها

- حضور الرجل أو موكله

- حضور الشهود

لحضور ولي البنت ضروري لايمكن للمرأة أن تزوج نفسها بنفسها يقول الله سبحانه وتعالى فانكحوهن بإذن أهلهن وقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" لا تنكح المرأة بدون وليها".سنن أبي داود و صححه الألباني ،وعن حضور الشهود كذلك فهو ضروري فعن عمران بن حصين مرفوعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا نكاح إلا بولي و شاهدي عدل". رواه ابن حبان و البيهقي و صححه الذهبي. و عن الزبير المكي أن عمر بن الخطاب أتى بنكاح لم يشهد عليه إلا رجل وامرأتان فقال هذا نكاح السر ولا أجيزه ولو كنت تقدمت به لرجمت وهذا كلما كثر الحضور والشهود كلما كان له صدى كبيرا.

3 – هدف عقد الزواج :

الهدف من وراء عقد الزواج هو إبرام معاهدة مابين الزوجين. و المعاهدة كما تجري به الأصول والعادة تتم بين طرفين،والمعاهدة السامية بين الزوجين هي الإلتزام بحدود الله. الهدف من عقد الزواج هو النطق بمصداقية العهد والتي ينطق بها الطرفان وهي على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. أي كتاب ؟ فالكتاب هنا القرآن الكريم وما جاء به من تشريع في العلاقات الزوجية والذي أسسه الخالق سبحانه وتعالى بنفسه،

وسنة رسوله هو ما جاء من أحاديث في موضوع الزواج ومن حياته الزوجية. فيتعهد الطرفان عن طريق موكلها بأنها سيمتثلان في معاشرتهما إلى أحكام التي جاءت في القرآن وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونعت الله هذا التعهد بالميثاق الغليظ « وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21) » سورة النساء. وهذه الآية جاءت علامة على أخذ النساء العهد من الرجال في مراسيم عقد الزواج. إذا ففي هذا العقد يقدم الزوج العهد وتقدم الزوجة العهد للزوج.

و بتقديم هذا العهد نجني شيئين إثنين: الأول هو إعطاء الزوج لأب البنت الأمان والطمأنينة له بأنه لا يخاف على بنته ملتزما أمام الله وأمام الشهود بأن يعامل معاشرتها حسب ما فرضه الله.وبهذا يكون قبول العطاء من طرف الولي.ولهذا هو الذي يبدأ بإعطاء العهد.الثاني يأتي دور المرأة في الأخيرعند توثيق العقد إعطاء العهد لزوجها. وأما الشهود فهم شهود على كل ما نطق به الموكلان.

لكن السؤال المطروح أو الأسئلة المطروحة،هل نحن واعون بكل ما نطقنا به في هذا العقد؟! هل ندرك أن كل ما نطقنا به هوعهدأمام الله وأن العهد سنسأل عليه لقوله سبحانه« وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا(34) »سورة الإسراء .ثم هل نعلم بحق ما جاء من تشريع في الزواج، إذن كيف نتعهد بشيء لا نعلم محتواه وعاقبته، كالذي يوقع على إعدامه وهو لا يدري،وهل يعتر هذا التصرف إستهزاء بآيات الله؟ أو جعلنا هذا العقد بروتوكول قل وكفى. لا والله. هذا أمر.

وهناك أمر آخر،إذا سلمنا بأننا نحن على دراية بما جاء في هذه الأحكام الشرعية، فينبغي على الزوجين أن يلتزما حدودها أي لا ينقضون لعهد الذي قال الله في هذا« وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91) » سورة النحل.وقال« وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (94) » سورة

النحل.فالعهد أمر عظيم وليس باللعب. ولنرجع إلى الآية وَتَذُوقُوا السُّوءَ أي تذوقوا العذاب و بِمَا صَدَدْتُمْ أي دستم على الوفاء بالعهد وهذا جزاؤكم في الآخرة.

ومثل المنقضين العهد،ضرب الله لنا مثلا فقال« وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(92) »سورة النحل. فهذه امرأة حمقاء إسمها " ريطة " بنت سعد بن تيم قريشية قد أخذت مغزلا قدر ذراع وسنارة متل الأصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل الصوف والدبر والشعر،هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ،ثم تامرهن فينقضن أي يفسدن ما غزلنه وهذا بعد قوة أنهكت وأتعبت نفوسهن بأحكام وبرم فنبه الله أن لا تكونوا مثلها بعد توثيق العهد فتنقذونه. مثل لا يحتاج إلى توضيح أكثر..

والمؤمن حريص على حفظ العهد وصفات المؤمن بالعهد خمسة: إذا وعد أنجز وإذا نذر أوفى وإذا حلف لم يحنث في إيمانه وإذا قال صدق في أقواله وإذا أئتمن لم يخن .والمؤمن إذا جهل أحكاما وتعهد بتطبيقها فقد يخطىء وهو لا يدري. فالواجب عليه أن يطلع ويبحث عليها حتى لا يندم فقال الله« فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(43) » سورة النحل

4 - عقد الزواج:

إن عقد الزواج هو أهم المرحلة في حياة الإنسان بحيث يعتبرالمفتاح للإنطلاقة الحياة الزوجية،وبدونه لا يمكن تغيير وجه الحياة الثانية من عمر الإنسان، لأنه به تحل العلاقة الزوجية وأصحاب هذا العقد هم الموكلان والشهود، ومظهره هو النطق والإستماع :النطق من طرف الموكلين والإستماع يكون من الشهود،فيشهدوا على ما سمعوه وما اتفق عليه .

وشروط عقد عقدة الزواج مبني على ثلاثة شروط :

1 - النطق بالكلمة الإفتتاحية

2 - النطق بكلمة الوسط

3 - النطق بكلمة عقد العقدة .

- النطق بكلمة إفتتاح العقد:

إن كلمة إفتتاح العقد هي بسم الله الرحمن الرحيم فقد روى ابن حبان عن أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمر ذي بال أي شأن يهتم به شرع الله فلا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر" وفي رواية فهو أقطع وفي رواية فهو أجذم أي ناقص. وبعد البسملة نصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما كلمة الوسط فهي ذكر الصداق لأنه به تحل الزوجة مصداقا لقوله تعالى« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ (50) » سورة الأحزاب،أي صداقهن.أما الكلمة الثالثة هي النطق بالكلمة التي تعقد بها عقدة النكاح وهي زوجتك ... وهي على مدار كل العقد إذا لم ينطق فيكون عقد الزواج باطلا أي غيرمعقود وغير جائز.. وذكر الله لنا حالتين في هذا الشأن : فشعيب عليه السلام عند ما أراد أن يزوج إبنته لموسى عليه السلام فقال « قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ (27) » سورة القصص،لم يقل له أعطيك أو شبه ذلك بل قالها بالكلمة " أُنْكِحَكَ". والحالة الثانية بما زوج الله الرسول صلّى الله عليه و سلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها فقال له « فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا(37) » سورة الأحزاب،فهذه الكلمة نطق بها الله من فوق سبع سموات،ولم يقل وهبتها لك أو نحو ذلك،

إن الزواج هو إكتمال وإتمام الإزدواجية.وكلمة "زوجتك" تعني أني أضفت لكل واحد منكما النصف الذي كان ينقصكما وجعلكما زوجين.وهذه الإجراءات تدخل في حسن العمل أو تأدية الفعل كما هو مطلوب شرعا. وهذا نموذج من صيغة عقدالزواج. وهذا عند ما يكون كل شيء تم على ما يتطلبه الشرع، قد تم التراضي والتفاهم على كل التفاصيل وخاصة تم تقديم الصداق ففي هذه الحالة، تكون الصيغة مبنيةعلى كلمتين،طلب وعطاء وعقد العقدة.

- **وكيل الزوج:**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله...يا فلان (ولي الزوجة أو موكلها) "زوجني" إبنتك أو موكلتك فلانة بنت فلان لموكلي فلان إبن فلان على "الصداق" المتفق عليه والمقدم (ويذكر الصداق بكامله)على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،

- **وكيل الزوجة:**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على الرسول الكريم .. زوجتك إبنتي أو موكلتي فلانة بنت فلان لموكلك فلان إبن فلان على الصداق المقدم كذا وكذا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.وبهذا يكون عقد النكاح قد تم شرعا ويتم هذا العقد بالدعاء كما فعل رسولنا عندما زوج إبنته فاطمة لعلي رضي الله عنه قال اللّهم بارك لهما اللّهم بارك عليهما اللّهم بارك فيهما.

تشريع المعاشرة

- الصداق
- الطاعة
- التكفل
- الحياء
- العدل
- الحفظ
- المودة والمحبة

أحكام المعاشرة

فالزواج الإنسي يختلف عن الزيجات الأخرى،قد يكون دائما إذا بقيا الزوجان مجموعين حتى يفرق بينهما الموت، وقد يكون إذا وقع بينهما فراق مرحلتين: مرحلة المعاشرة ومرحلة الفراق وأحكام وتشريع المرحلتين جاءت بصفة عامة في سبع سور وهي :سورة البقرة وسورة النساء وسورة النور وسورة الأحزاب و سورة المجادلة وسورة الطلاق وسورة التحريم.

ويستخلص من هذه الأحكام أربعة عشر محاور كبرى، ينقسم إلى جزئين : قسم يخص المعاشرة وهو يحتوي على سبعة محاوروقسم آخر يحتوي على سبعة محاور كذلك.فأحكام المعاشرة تحتوي على حقوق الطرفين وهي سبعة محاور قابلة للتفصيل والتوسع، ثلاثة حقوق للرجل على المرأة وثلاثة حقوق للمرأة على الرجل والسابع حق مشترك بينهما.

لحقوق المرأ ة هي : الصداق – التكفل– العدل

وحقوق الرجل هي : الطاعة– الحياء– الحفظ

والحكم المشترك بينهما: المودة والرحمة.

حقوق المرأة			حقوق الرجل
	الصداق	الطاعة	
	التكفل	الحياء	
	العدل	الحفظ	
	المودة و الرحمة		

كل حق يقابله حق الطرف الآخر.

- الصداق :

أول حق للمرأة على الرجل هو الصداق وتأخذه فبل الإرتباط،وهو أول ما شرع الله في حقوق الزوج على الزوجة.والصداق هو ما يعطى للزوجة عند زواجها ويسمى كذلك بالمهر وبالأجر. وقد فرضه الله على الزوج لقوله « فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» وقال« وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً » ويعطى للزوجة كعربون للإرتباط والعشرة،فهو في بعض الأحيان لا يسمن ولا يغني من جوع. وسنرى هذا فيما بعد. ويكون تقديمه بكامل الرضا، بعيدا عن الكراهية والمن يقول الله سبحانه وتعالى « وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا(4) »سورة النساء. وكلمة "نحلة" مصدر عطية عن طيب نفس خالصة، لا منا من الزوج به عليها. والصداق يكون من الزوج نفسه، أما إذا كان صغيرا أو تحت رعاية أبيه، فأبوه هو الذي يتكفل به، فقال الإمام مالك رحمه الله في الرجل يزوج إبنه صغيرا لا مال له، فالصداق على أبيه إذا كان الغلام يوم تزوجه لا مال له، وإن كان للغلام مال فالصداق في مال الغلام، إلا أن يسمي الأب أن الصداق عليه وذلك النكاح ثابت .

فائدة: " إن الصداق فرض من أول زواج أقيم في البشرية وهو زواج آدم عليه السلام بحواء, فبينما كان آدم نائما خلق الله منه زوجها لقوله وخلق منها زوجها، وهذا من ضلعه اليسرى.

فائدة: " خلقت حواء من ضلع من ضلوع آدم اليسرى،ووقع مكانه لحما من غير أن يحس آدم بذلك، ولو وجده،لما عطف رجل على إمرأة فلهذا فالذكر منا له ضلع ناقص في الجنب اليسرى التي عدد أضلاعها سبعة عشر(17) وعدد أضلاعه اليمنى ثمانيةعشر(18). ولهذا سميت بحواء لأنها من حي وهو آدم عليه السلام ، وهذا من قدرته وحكمته سبحانه وتعالى. فلما إستيقظ من نومه رآها وسكن إليها ومال إليها فقالت الملائكة: مه يا آدم، فقال ولما لا وقد خلقها لي فقالت الملائكة لا تمسها حتى تؤدي مهرها، فقال وما مهرها، وقيل فقال يارب

وما أعطيها إياها فقال سبحانه وتعالى يا آدم صلّي على حبيبي محمد عشرين مرة. والأهم هو بعد ما صلى آدم على محمد صلى الله عليه وسلم

فائدة: " إن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الواسطة ،لكل واسطة حتى آدم لولاه لما تمتع بزوجته حواء فألف صلاة وألف سلام عليك يا حبيب الله . بعد الصلاة على النبي خطب الله خطبة النكاح،ثم قال أشهدكم يا ملائكتي ويا حملة عرشي أني زوجت أمتي حواء من عبدي آدم ."

ووجوب الصداق كذلك أشير إليه في موقعين من القرآن الكريم نستتدل به من زواج موسى بإبنة شعيب عليهما السلام،حيث طلب شعيب من موسى مقابل صداق إبنته أجرة عمله عنده لمدة ثمانية حجج كما جاء ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) ﴾ سورة القصص و الموقع الثاني هو أن نبينا صلى الله عليه وسلم قدم صداقا لكل أزواجه إلا زينب بنت جحش لم يقدم لها مهرا لأن الله عزوجل هو الذي زوجها له بدون مهر وبدون شهود لقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ(50) ﴾ سورة الأحزاب،

أما قيمة الصداق فلم يحددها الله عزوجل ، وهذا من يسره ورحمته على الأزواج , فقيمة الصداق تركت لهم، كل حسب تيسيره في المال، ثم أضف على ذلك فهو هبة والهبة لا تقدر قيمتها،إذا فالصداق يختلف بين الأزواج، قد يكون قليلا أوكثير، أي من خاتم من حديد إلى قنطار من الذهب أو الفضة على سبيل المثال ما جاء عند الفراق أو إستبدال زوج بزوج لقوله﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(20) ﴾ سورة النساء،كما ينبغي تيسيره على المعسر أي على الفقير كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا. وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته إمرأة فقالت يا رسول الله وهبت نفسي لك ،وهذا كان مرخصا للنبي خاصة من عند الله لقوله﴿ وَامْرَأَةً

مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ(50)))سورة الأحزاب،فقامت المرأة طويلا ، فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله هل من عندك من شيء تصدقه إياه،فقال ماعندي إلا إزاري هذا،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعطيتها إياه جلست لا إزارك،فالتمس شيئا آخر،فقال ما أجد شيئا،فقال إلتمس ولو خاتما من حديد، فالتمس فلم يجد شيئا،فقال له هل لك من القرآن شيئا،فقال نعم،معي سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحتها بما معك من القرآن.

وعن أنس بن مالك أن عبد الرحمان بن عوف جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه صفرة، فسأله رسول الله فأخبره أنه تزوج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم سقت إليها؟فقال زنة نواة(والنواة هي خمسمئة دراهم في ذلك الزمان) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم ولو بشاة. إذا فالباب مفتوح ولا يكلف الزوج فوق طاقته كما قال الله عز و جل((وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33))) سورة النور،فالآية واضحة. وهكذا فالصداق يؤدى للزوجة مهما كانت الأحوال المادية للزوج. والصداق يؤدى حتى ولو كانت الزوجة غنية ذات مال كثير.كما أوصى الله حفظ حقوق اليتيمة بالقسط أي بالعدل في الميراث والمهر ولو كان لها مال يقول الله((وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا(127))) سورة النساء.

هناك تنبيه لابد وأن نشير إليه وهو أن البعض يظن بأن ذكر المهر أو الصداق هو مجرد كلام ولا يبالي بتعاليم الله فيه من أمر ومنع وهي حقيقة:

أولا: هناك من يصرح به هكذا فيقول أو يقال له فلا تخف سيرجع لك بمجرد الدخول بالزوجة.

ثانيا: هو أن بعض من الأزواج يصرحون في عقد الزواج بأن جزء من الصداق أو كله مؤخر ولكن بعد الدخول بها يتغاضى عن أدائه لها ولا يقدمه لها وبالتالي ينقذ العهد الذي أداه على نفسه أمام الله وأمام الشهود متجاهلا أو متعمدا ناسيا بأن زواجه أصبح غير حلال مثله مثل الزنا. فعن ميمون الكردي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"أيما رجل تزوج امرأة،تزوجها يوم تزوجها و هو لا يريد أن يعطيها مهرها،لقي الله عز و جل و هو زان،و أيما رجل استدان دينا و هو لا يريدأداءه، فمات و لم يؤده، لقي الله تبارك و تعالى و هو سارق"أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط.

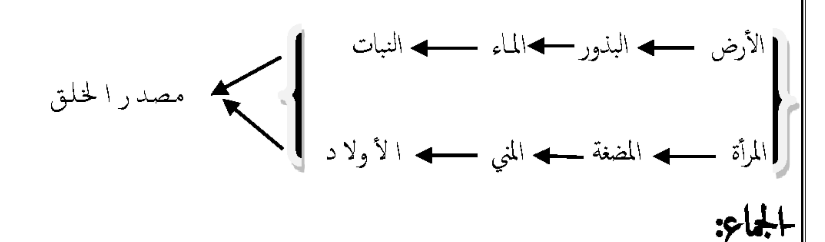
كان هذا عن تقديم الصداق، أما أخذه أثناء المعاشرة فلا يجوز للزوج أن يأخذه بالقوة وبدون رضاها يقول الله عز وجل ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا(4) ﴾ سورة النساء،والآية واضحة "شيء منه" ويشترط أن تكون الزوجة راشدة بالغة وعاقلة أي تعرف صلاحها، وإلا فلا يحل أخذه قهرا،وقصده فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا أي ممروءا لا غظة فيه ولا عقبة، من قولهم "جري الطعام في المريء" أي العرق الأحمر الكائن تحت الحلقوم أي كلوه حلالا في هذه الدنياومريئا أي سائغا لا نكد فيه في الآخرة، لا تحاسبون عليه في الآخرة. وللحديث بقية.

-الطاعة:

مقابل الصداق الذي هو حق المرأة على الزوج يأتي حق الزوج على الزوجة وهو الطاعة،والطاعة لبنة أساسية في بناء وإستقرار العش الزوجي. ومعناها العام هو إمتثال المطيع للمطاع. والطاعة تكون لله ولرسوله وبعدهما لولي الأمر.كما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ(59) ﴾ سورة النساء. وولي أمر الزوجة هو زوجها لأن الله جعله قواما عليها لقوله ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (59) ﴾ سورة النساء. والآيتان هنا أمر من الله تعالى. وقرانة طاعة الزوج بطاعة الله ورسوله فيكون بالإمتثال فيما أمر الله به وفيما يرضي الله وهي ثابتة شرعا.

وأول شيء في طاعة المرأة لزوجها هي في الفراش.يقول الله﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(223) ﴾ سورة البقرة،في هذه الآية مثل الله المرأة بالحرث .

- المرأة حرث: نساؤكم حرث لكم إن الخالق شبه المرأة بالحرث أي بالأرض الصالحة للزراعة. وحكمة النكاح هو وجود النسل الذي هو وسيلة للخلافة وإعمار الأرض. ومن حكمته وقضائه أن أختار الأنثى أي المرأة لنشأته خلقه،كما جعل الأرض للزرع وهنا يتصور لنا إزدواجية الخلق: فالأرض الصالحة يوضع فيها البذور وتسقى بالماء وينبت من جراء هذا كل أنواع الزراعة وهي مصدر خلق الزرع، والمرأة تنزل المضغة في رحمها كل شهر وإما أن تكون مخلقة وإما أن تكون غير مخلقة،وهذه المضغة تسقى بماء الرجل وهو المني وينتج عن هذا الخلفة إما ذكرا وإما أنثى وهو مصدر خلق الأولاد:



الجماع:

((فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)) أي تعميم أحوال الإتيان من قيام وقعود وإضطجاع معناه من جهة الدبر ليكون في الفرج حيث حذرنا فقال((فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(222))) سورة البقرة، إذا فالشرط الوحيد فهو من القبل. هذه الآية نزلت ترخيصا منه إيتيان الزوجة من جميع الحالات، المهم هو أن يأتيها من حيث أمره الله وكذلك نزلت ردا على اليهود حين قالوا " من أتى إمرأ ته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول. وعند الجماع يقول الزوج المؤمن بسم الله الرحمن الرحيم اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إذا فعل ذلك حفظ الله الولد من الشيطان وكتب له بعدد أنفاسه وأنفاس أولاده حسنات إلى يوم القيامة كم أنت كريم يا رب. وهذا الأمر إلا أن هذا الذكر المذكور آنفا، ذكر في وقت غفلة فيكتب من الذاكرين الله في الغافلين،وأهل الله في ذلك لهم تجليات ومشاهدات تحل عن الحضر والكيف، وإلى ذلك. كذلك قالوا في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إتيانه نسائه أنه كان يجلس بين شعبيها وهي مستلقية على ظهرها.

فائدة : قال الحكماء " إدامة الجماع وهو مضطجع على جنبه يورث وجع الجنب "

- التقديم :

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ فالله سبحانه وتعالى جعل المرأة متاعا، من متاع وزينة من زينة الحياة الدنيا حيث يقول ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ (14) ﴾ سورة آل عمران. أي قدموا ما إستطعتم،فلا يجوز للمرأة أن ترفض وتمنع زوجها وتهجره في فراشه،لأن هذا حقه عليها ويدخل في الطاعة، وربما بمنعها ستدفعه إلى إرتكاب المحرمات لأن الإنسان ضعيفا وخلق الإنسان ضعيفا فلا يصبر على النساء، و الله سبحانه وتعالى ركب فيه هذه اللذة. وعن عطاء بن عمر رضي الله عنهما قال:" جاءت إمرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على الزوجة؟ قال أن لا تمنعه نفسهاو إن كانت على ظهر قتب" أي ولو كانت فوق بردعة على ظهر حمار،أي مهما كانت الأحوال فلا تمنع نفسها عليه إذا دعاها إلى الفراش.وعن قتادة قال ذكر لنا كعبا قال أول ما تسأل المرأة عنه يوم القيامة عن صلاتها ثم عن حق زوجها.وأين نحن اليوم فكثيرا ما نسمع أن إمرأة تهجر تماما فراش زوجها ، كل طرف يبيت في غرفة منفردا و المتسبب سواء الرجل أو المرأة فهو المذنب . وهذا يعد عصيان لأمر الله.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بات الرجل غضبان على زوجته باتت الملائكة تلعنها إلى الصباح. وبشر الله المرأة لحديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت زوجها فلتدخل من أي باب من أبواب الجنة شاءت".فطوبى لك أيتها المرأة بهذا الحديث.

وجعل الله إعتزال المرأة في الفراش في حالتين : حالة قصرية في المحيض وحالة إرادية يتسبب فيها الزوج وهو الظهار والإيلاء .

- المحيض :

كلنا نعلم أن المرأة قبل تقدمها في السن تحيض كل شهر بما يسمى بالدورة الشهرية، وتحيض كذلك عند الولادة أي في النفاس. والمحيض هو السيلان " يقال حاض الوادي" أي مال وفاض. وتحيض المرأة أي يسيل منها دما أو صفرة أو كدرة، وهذا شيء طبيعي يقع منها كل شهر من جراء إنفجار المضغة. عن إبن مسعود قال إن الملك يقول يا رب مخلقة أم غيرمخلقة،فإن قال غيرمخلقة قذفها في الأرحام دما.

ودم الحيض فهو أذى لقوله سبحانه وتعالى« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(222) » سورة البقرة،فهو علة يسبب المرض لمن لم يتجنب المرأة في هذه الفترة حتى يقف السيلان وتطهر لهذا نهاناعن الإقتراب منها أي إعتزالهافي الفراش،ووجب الوقوف على أمر الإعتزال.فنزول هذه الآية هو أن اليهود كانوا يعتزلون نساءهم في المحيض بالمرة حتى أنهم كانوا لا يبيتون في مكان مع حائض ،ثم إقتدت بهم الجاهلية، أما النصارى بخلاف اليهود كانوا لا يفرقون بين ذلك قواما. ولما نزلت هذه الآية،فهم بعض الصحابة أن الإعتزال مطلق حتى في المسكن. فقال أنا من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فإن آثرناهن هلك سائر البيت،وإن إستاثرنابها هلكت الحيض، فقال إنما أمركم أن تعتزلوا مجامعتهن ولم تؤمروا بإخراجهن من البيوت.

وللعلم يحرم وطء الحائض في الفرج بإجماع. وأما التلذذ بما بين السرة والركبة،فإن كان فوق الإزار ففيه خلاف، أما عدا ذلك من سائر الجسد فهو جائز بإجماع، لما في الحديث الحائض تشد إزارها وشأنك بأعلاها. والخلاصة هو أنه في مدة الحيض يعزل الزوج زوجته بالجماع حتى تطهر ;و فيه إعتزال طبيعي ووقائي ومفروض بحيث مدة الحيض كل شهر تكون لزوجة غير جاهزة.

أما الإعتزالان الآخران بتسبب فيهما الزوج على نفسه وهما الظهار والإيلاء.

- الظهار:

ذكر الظهار في مناسبتين في القرآن الكريم : في سورة المجادلة وسورة الأحزاب ، والظهار هو حالة الزوجة عندما تكون مستلقية على ظهرها أثناء الجماع ومن شبه أمه بهذه الحالة إذ يمثل زوجته بأمه وهذا قولا لزوجته وكأنه يقول لها إذا جامعتك فكأني أجامع أمي، ونعلم أن الأم محرمة قطعا على الإبن (إرجع إلى محور النساء المحرمات)، وهو يقصد بهذا أنه لا يقربها إذ أصبحت محرمة مثلهامثل أمه،هذا هو معنى الظهار،لكنه في الحقيقة إنه يغيرحقيقة الأمر،فقد قال في حالة غاضب أو في شجار مع زوجته... وجاء في هذا الشأن خبرعنها ومعها أحكامه إذ يقول الله سبحانه وتعالى« بسم الله الرحمن الرحيم قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4) » سورة المجادلة. للعلم هذه الآيات الأربعة نزلت في حق "خولة بنت ثعلب وزوجها أوس بن الصامت". هذه الزوجة جاءت تشتكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها الذي قال لها" أنت علي كظهر أمي" فهذه المرأة فكانت حسنة الجسم، فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة في الصلاة فنظر إليها أي إلى عجيزتها فأعجبه أمرها. فلما إنصرفت عن الصلاة، طلب وقاعها فأبت، فغضب عليها(وهذا مما أشرنا في محور الطاعة) وكان به لمم فأصابه بعض لممه فنطق بالظهار،ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية،فكان

الرجل إذا أراد طلاق زوجته يقول مثلا هذا الكلام فقال أوص لزوجته" ما أظنك إلا وقد حرمت علي، فقالت والله ماهذا بطلاق. فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه(بدون تعليق) فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة وغنية ذات أهل ومال، حتى إذا أكل مالي وأفنى

شبابي وتفرق أهلي وكبر سني " ظاهر مني " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه،فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك ما ذكر"طلاق" (ولابد من الوقوف هنا، هناك أمران هامان : أولهما هو أن هذه المرأة لها من المعرفة ببعض أمور دينها حيث قالت " ما ذكر طلاق في هذا الموضوع وفعلا لم يذكر الطلاق في الظهار، وثانيهما هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لا يفتي ولايأتي بشيء من عنده ما لم ينزل عليه أمرا من ربه وهذا شيء مهم لابد علينا كلنا رجالا ونساء أن نتعلم ونتعرف على دبننا). ثم زادت وقالت هو أبو ولدي وأحب الناس إلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه(لم يمل لكلامها وأخذته العاطفة من حالها؟؟؟) فقال أشكو إلى فاقتي ووحدتي وشدة حالي وإن لي صبية صغارا، إن ضممتهم إلي جاعوا,و إن ضممتهم إليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم أشكو إليك، اللّهم فأنزل على لسان نبيك فرجي، فكان هذا أول ظهارفي الإسلام. فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر.فقالت خولة أنظر أمري، جعلني الله فداك يا رسول الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك، أما رأيت وجه رسول الله وكان إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات أي النوم. فلما قضى الوحي قال أدعي لي زوجك فدعته،فتلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات الأربعة الآولى من سورة المجادلة وبعد الإنتهاء من تلاوتها قال لزوجها هل تستطيع العتق؟ فقال لا والله. فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله إني إن أخطأني الأكل في اليوم مرة أو مرتين كلّ بصري وظننت أني أموت، قال فاطعم ستين مسكينا, قال ما أجد إلا أن تعينني منك بمعونة وصلة، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا فتصدق بها على ستين مسكينا(والصاع هو رطل وثلث أي قرابة كلغ واحد).

فائدة : روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه،مر بها(خولة) في عهد خلافته وهو على حمار(يا للعجب) والناس حوله، فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عمير ثم قيل لك ياعمر ثم قيل يا أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن الموت خاف القوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب،وهو واقف يسمع

كلاهما فقيل يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف. فقال و الله لو حبستني من أول النهار إلى آخره، لازلت إلا الصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة،سمع الله قولها من فوق سبع سموات،أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر.

وشروع في بيان الظهار هو الاعتزال حتى تؤدي الكفارة التي بينها الله لنا وهي: أولا عتق أي تحرير لرقبة وإذا غاب هذا ثانيا صوم شهرين متابعين وإذا غابت إستطاعة الصوم ثالثا فإطعام ستين مسكينا وهذا قبل أن يمسها طبعا. إذا فالكفارة هي :

العتق ← الصوم ← الإطعام .

- الإيلاء :

فهو ثاني العزل المتسبب فيه الزوج. الإيلاء هو الحلف على ترك الوطء أي وطء الزوجة، وعقابه هو عدم الإقتراب ولمسها لمدة أربعة أشهر. وهو مشترط عند الإمام مالك بأن يكون القصد لضرر بالزوجة يقول الله تعالى « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227) » سورة البقرة. والحلف يكون بالله لا بغيره كما جاء في الحديث من كان حالفا فليحلف بالله أو فليصمت.

إن الزواج ليس بالأمر الهين، من حلف على ترك وطء زوجته فعقابه كما تبين إنتظار أربعة أشهر ليمسها،ولها النفقة و الكسوة في تلك المدة لأن الإنتفاع من قبله(كسر ق وفتح ب) بخلاف الناشز(الغير المطيعة) فلا نفقة لها لأن الإمتناع منها والمدة تحسب من يوم الحلف إن كانت صريحة في ترك الوطء ومن يوم الرفع للحاكم إن لم تكن صريحة. والله سبحانه وتعالى ترك الباب مفتوحا

« فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » فإن فاءوا أي رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء. ومن هذين الظهار والإيلاء يبين أن الظهار ليس له مدة فمدته تنقضي بمجرد أداء الكفارة، أما الإيلاء فهو محدد بمدة وهي أربعة أشهر .

ويلزم على من ترتب عليه الحنث كفارة عن اليمين إن كانت اليمين بالله وكفارة الحلف بالله كما هو معلوم إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة،غير هذا فصيام ثلاثة أيام يقول الله « لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89) » سورة المائدة.

والسؤال المطروح هل يوجد حالات من إظهار و الإيلاء في مجتمعنا ونحن لا ندري.؟والطاعة تكون في أمورأخرى غير الفراش وبصفة عامة فالطاعة تكون بما يرضي الله. هناك أمر لابد من الإشارة إليه وتظن الزوجة أنه أمر عادي وبسيط ولا إشكال فيه وهو بالمقابل إثم ترتكبه بدون أن تعي وجزاؤه عظيم ألا و هو الخروج من البيت بدون إذن زوجها فعن إبن عمر رضي الله عنهما قال :"أتت امرأة نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ما حق الزوج على إمرأته ؟قال: لا تخرج من بيته إلا بإذنه،فإن فعلت، لعنتها ملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع.قالت: و إن كان ظالما ؟قال:و إن كان لها ظالما،قالت :والّذي بعث بالحق لا يملك علي أحد أمري أحدبعد هذاأبدا ما بقيت" حتى لصيام التطوع، ولابد وأن تستأذن زوجها فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"لا يحل لإمرأة أن تصوم و زوجهاشاهد إلا بإذنه و لا تأذن في بيته إلا بإذنه "، متفق عليه و هذا لفظ البخاري .

- التكفل:

إن الحق الثاني من حقوق الزوجة على الزوج هو التكفل بها تكفلا تاما مما يشمله المعنى وهذا أمر نعلمه كلنا، سواء كان هذا من تعاليم الله أو ليقول البعض كذلك وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. ولابد من التطرق لهذا الموضوع لعلنا نستفيد من بعض الأمور التي هي غائبة عنا. فالله سبحانه وتعالى أعطى القوامة للرجل، وهو أمر طبيعي وقضاء حكيم من عنده فالزواج كما رأينا هو تكوين بيت وإنشاء أسرة. وكما نعلم فإن الأسرة والبيت وما يتطلبانه من تدبير وتسيير الشؤون المرتب عليهما من واجبات، فلابد من قائد يشرف على كل هذه الأمور. والزوج هو الذي أوكلت هذه المهمة وهو البحث وتوفير الرزق وكل مستلزمات الأسرة، وهي مسؤلية جعلها الله بيدالزوج .

وعن المسؤولية جاء في الحديث عن إبن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم و المرأةراعية على بيت بعلها وولده و هي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على بيت سيده وهو مسؤول عنه ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"متفق عليه و اللفظ لأحمد.

وعن القوامة يقول الله عز و جل « الرجال قوامون على النساء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (34) » سورة النساء. وقال كذلك « وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا(5) » سورة النساء، فالآية واضحة،فالتكفل يكون واجبا وبدون أذى أي بالمن أو بكراهية أو بإهانة أو باستعلاء وكأنه يقدم لها جميلا لأنه نسي أنه أخذها بكلمة من الله، أيظن أنه إشتراها بالصداق الذي دفعه لها.و من اللطائف و الأدلة مما ورد أيضا في القرآن الكريم قوله تعالى« فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى(117) » ،سورة طه ،حيث ان الخطاب شامل لآدم و حواء ، ثم خص آدم بالشقاء دونها ،فدل ذلك عتى أنه هو المكلف بالكد عليهاو الخروج ،و تحصيل لوازم الحياة الضرورية لها من مطعم و مشرب و ملبس و مسكن . و بكل بساطة فالله سبحانه و تعالى هو الذي خلقها له لقوله« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا(189)))، سورة الأعراف،وأمر بأن تعاشر بالمعروف فقال تعالى((فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ (231))) سورة البقرة، و عن عمرو بن الأحوص الجشميرضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى و أثنى عليه، و ذكّر و وعظ ، ثم قال:" ألا فاستوصوا بالنساء خيرا ،فإنما هنّ عوان عندكم،ليس تملكون منهنّ غير ذلك،إلا ان يأتين بفاحشة مبينة،فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضلابا غير مبرح،فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا،ألا إن لكم على نسائكم حقا،و لنسائكم عليكم حقا،فحقكم عليهن ألاّ يوطئن فرشكم من تكرهون،و لا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون،ألا و حقهنّ عليكم أن تحسنزاإليهن في كسوتهن و طعامهن"رواه الترميذي و قال حديث حسن صحيح.

وجاء كذلك في المعاشرة الحسنة، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله".رواه أبو يعلى و الطبراني في المعجم الكبير

- الإستحياء:

إن ثاني حق الزوج على الزوجة هو الحياء، والحياء هو ستر زينتها وعدم إظهارها لأجنبي،والحياء جاء فيه أحكام كثيرة من الله سبحانه وتعالى. فهناك أحكام وضوابط تخصها في داخل بيتها. وهناك أحكام وضوابط تخصها خارج بيتها.

- **داخل البيت :** ففي بيتها جعلهاحرة التصرف، تلبس وتتحرك كيف ما شاءت. ولهذا جعل للبيت حرمة وأول شيء أوجب المولى على الزائرين، مهما كان نوعهم،عدم دخول بيت الغير إلا من بعد إذن من أصحابه يقول سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(28)))، سورة النور. و سبب نزول هذه الآية أن إمرأة من الأنصار قالت يا رسول

الله أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل على وأنه لايزال على رجل من أهلي وأناعلى تلك الحالة، فنزلت.

والقصد هنا واضح وهو غير بيوتنا أي مساكننا وهذا كما قال حتى تستأنسوا والإستئذان ضد الإستيحاش سمي بذلك لأن المستأذن مستوحش، فإذا أذن له زال الإستيحاش، أي فيقول الواحد السلام عليكم آآدخل؟ أشار في ذلك إلا أن السلام مقدم على الإستئذان . ويكون كل من السلام والإستئذان ثلاث مرات، ويصل بين كل مرتين سكوت : وتكون المرة الأولى بمثابة الإعلام،والثانية للتهيؤ ،الثالثة للإستئذان في الدخول أو الرجوع. وإذا أتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه،بل يجيء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر أي جانب من جوانب الباب، وإذا طلب منه التعيين أي يقال له من؟فليعين نفسه بصفة تميزه ولا يكتفي بقوله" أنا"مثلا. أين نحن من هذا في زيارة البيوت؟؟؟ روي عن جابر بن عبد الله قال إستأذنت عن النبي قال من هذا؟ فقلت"أنا"، فقال النبي" أنا"،"أنا"، كره ذلك لعدم إفادته. فالواجب أن يفعل أحد منا كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين أراد الدخول على النبي وهو ذفي مشربه فقال السلام عليك يارسول الله أيدخل عمر؟ولهذا وجب على من دخل بيت غيره حتى يؤذن له ولا يجوز دخوله بدون إستئذان وهذا لعدة إعتبارات كما قال هو أزكى لكم أي أطهر للأمن من الرذائل والدناءات لأن أصحاب البيت غير مهيئين للإستقبال كمرتدين لباسا خفيفا أو تكون المرأة كاشفة البعض من زينتها أو يكونوا في حال من الأحوال الإستحيائية أو يكونوا نائمين فتكشف من بعض الأنوثة،وبذلك قد يرتكب الزائر إثما من وراء النظر إلى ما يكره. فهذه كانت تعاليم للزائرين، أما عن ما ملكت الأيمان كالعبد والخدم والأطفال الغير البالغين قد حاء نهيهم بدخول البيوت بدون إستئذان في ثلاثة أوقات من بعد صلاة الفجر و من بعد صلاة الظهر ومن بعد صلاة العشاء، أي أوقات النوم، وسمى الله هذه الأوقات"عورات" يقول الله « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59) » سورة النور. وهذه الآية نزلت في حق عمر بن الخطاب فقد روي أن رسول الله بعث غلاما من الأنصار يقال له"مداج بن عمرو" إلى عمر ليدعوه فدعاه فوجده نائما،وقد غلق عليه الباب، فناداه ودخل،فاستيقظ عمر، فانكشف منه شيء، فقال عمر وددت أن الله نهى أبناءنا وتساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم إنطلق إلى رسول الله فوجد هذه الآية قد نزلت، فخر ساجدا شكرا لله تعالى.

ودائماعن كيفية دخول البيوت أمرنا أن ندخلها من أبوابها فقال« وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(189)»سورة البقرة. فقال المفسرون عن هذه الآية أن الله أخبرنا بجملتين وأمرنا بجملتين، مرتبا على الأوليين فقوله « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» فهي جملة خبرية ترتب عليها قوله « وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا »،وقوله « وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى » جملة خبرية أيضا رتب عليها قوله « وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أي تفوزون وتسعدون وتظفرون برضاي وبرحمتي.

ودائما في زيارة البيوت وإن كان جاء بوجه عام أمر الرجال والنساء بغض البصرعلى ما لا يحل به،أمر رسوله بأن يقول للرجال « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30) » سورة النور. نهى الرجال عن التحديق وطول النظر إلى النساء الأجنبيات وطبعا فالنظر له نظرة واحدة ليس عليها إثم وهي النظرة الأولى لأنهامحتومة وكما جاء في الحديث النظرة الأولى لك وبعدها فعليك،لأن النظرة الأولى تأتي طبيعيا في أول وهلة صدفة ودون قصد، لكن الثانية وبعدها فهي متعمدة ومقصودة. ثم أمره بنفس القول بالنهي للنساء « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ (31) » سورة النور.

وقل للمؤمنين .. وقل للمؤمنات شروع في أحكام تعم المستأذنين وغيرهم ،غض البصر وحفظ الفرج، إشارة أن أمر البصر أوسع من أمر الفرج، لأن النظر أوسع للريبة.

وخص البصر والفرج بالذكرلأنهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح فيجازيهم عليه : فالغاض يجازى بالحسنات وغيره يجازى بالسيئة .وبسط الكلام فيهن أي في النساء لأنهن شأنهن التبرج والخيلاء والعجب ،فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة،فأتى إمرأته زينب و هي تمعس منيئة لها، ثم خرج إلى أصحابه، فقال :"إن المرأة تقبل في صورة شيطان، و تدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله،فإن يرد ما في نفسه".رواه مسلم، وفي هذه الزيادة والتبسيط في النساء قال «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » أي عدم إبداء زينتها لرجل أجنبي ما عدا الوجه والكفين فيجوز نظره إن لم يخف فتنة في أحدهما، والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة و سدا للذريعة . و التوقف عن هذا الإظهار يبين لله للمرأة ما يجب فعله حتى تسد الباب في وجه الطامعين فقال « وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ » والخمر جمع خمار، أمرهنّ الله بأن تلقيه على موضع جيوبها وهو الرأس والعنق، والجيب في الأصل هو طوق القميص، وهذا مخالفة النساء في الجاهلية. وكنّ قبل نزول هذه الآية على عادة الجاهلية، يسدلن خمرهن على خلـهن، فتبدو وتظهر نحـورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها فتكشف صدورهن وهذا مما يجلب الرجال إليهن. فأمرن بإرسال خمرهن على جيوبهن سترا. بعد هذه الآيات،

بيّن الله لمن يسمح لهم بالنظر لموضع زينتهن ما عدا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج. وعند مالك لا يحل للرجال المحارم إلا الوجه والأطراف من النساء، وأما النساء فيحل لهن النظر، ما عدا ما بين السرة والركبة. وكما لا يجوز للمسلمات الكشف لنساء الكافرات بإتفاق مالك والشافعي لئلا تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفاسد؟؟؟بعدها بيّن الله لهن ولنا الرجال من يجوز له النظر إلى زينتها بعد بعلها وهم إثنا عشر« وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31) » سورة النور ،

فائدة: شملت هذه الآية على خمس وعشرين ضمير للإناث،مابين مرفوع ومجرور، ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الشأن، "واستثنى الله من هذا المنع وهو عدم إبداء زينة النساء العجائز التي ذهبت زينتهن في الجماع ولكنه في الأخير فقال « وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (60) » سورة النور،

وزيادة على إلاستئذان دخول بيوت الغير وغض البصر فيه،وعدم إبداء زينة المرأة رخص لنا فيه الإطعام والأكل عند بعضنا البعض، فقال تعالى « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61) » سورة النور،

. فالمجموع خمسة عشر، وللوقوف عند هذه الآية الكريمة لنستخلص ما يلي :

1 - لم يفرض الله عز و جل الأكل عند بعضنا البعض ولم يمنعه، وهذا بإيتيانه كلمة" حرج "وهذا يعتبرترخيصا منه وإستثناء لحرمة البيت وهذه رحمة من عنده لو فرضه علينا فكيف حال الجميع ولم يمنعه لبقاء الصلة بين أفراد العائلة.

2 – ذكر أفراد العائلة كلهم وما تربط روابط كل فرد منهم ثم وسع وأدخل الأصدقاء وهذا معناه الأكل جائز في المجتمع ككل.

3 – إذا تأملنا في ذكر أفراد العائلة نجد أن هناك حلقة مفقودة من هذه السلسلة وهي عدم ذكر الأبناء أي الإبن خارج قاعدة " الحرج" لأن إطعام الأباء فرض على الأبناء كما جاء في الحديث أنت ومالك لأبيك وإن أطيبها يأكل المرء من كسبه وإن الولد من كسبه وهذا هو المقصود من بيوتكم أي بيوت أبنائكم.

4 - حرية الأكل إما جماعة أو متفرقة لا شرط فيه..

5– آداب الدخول في هذه المناسبات هو أول شيء نسلم على أنفسنابتبادل التحيات وتردها الملائكة علينا وهذه التحية من عند الله ثابتة ويرجى منها البركة وزيادة الخير و الثواب كما قال تعالى « فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً » .

وما دمنا في الضيافة،نعرج على شروط وآدابها يقال يجب على الضيف سبعة أشياء :

1 – الذ هاب في الوقت المناسب، قد يكون الطعام غير جاهز ويحرج أصحاب البيت أو متأخر قد يجر إحراج مختلف لأصحاب البيت.

2 – يجب على الضيف أن يذهب طاهر اللباس والجسد،و قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل بيتا غير بيته كان يصلي ركعتين تبركا لصاحب البيت.

3– أن يجلس في المكان الذي يجلسه فيه صاحب البيت وأن لا يقابل وتزيغ عينيه بعيدا «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ »

4 – أن يرضى بما يقدم له.

5 – مغادرة البيت مباشرة بعد الإنتهاء من الأكل. قال تعالى « وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ (53) » سورة الأحزاب . وهذه الآية نزلت عندما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ودعت الناس إلى الوليمة ....

6 - أن لايقوم الضيف إلا بإذن من صاحب البيت ويطلب منه السماح لمغادرة البيت .

7 - أن يدعو له إذا خرج .

فائدة: ذكر أن حكيما دعى إلى الطعام، فقال أجيبك بثلاث شروط :

أولها أن لا تتكلف، وثانيها أن لا تخون، وثالثها أن لا تجور .قال وما التكلف ؟أن تتكلف ما ليس عندك، قال وما الخيانة ؟قال أن تبخل بما عندك فلا تقربه لضيفك، قال وما الجور ؟ قال أن تحرم عيالك وتعطي ضيفك".

- خارج البيت : أول شيء نأخذه من الأمر الذي أمر الله به نساء الرسول : « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى(31) » سورة الأحزاب،

القر في البيت : هو مكوثها في بيتها قدر الإمكان وأن لا تخرج إلا لضرورة، ويجب أن تتجنب الأسواق قدر المستطاع والأماكن المشبوهة كالملاهي وإختلاط الرجال بالنساء.

- التبرج : عدم خروجها متبرجة من البيت والتبرج هو إظهار محاسنها وجمالها وهذا مما يجعل النفس الضعيفة تميل إليها بسرعة،وهو سبب من أسباب إنتشار الفاحشة والفساد في المجتمع.

- الجلباب : الخروج بالجلباب كما أمر الله رسوله بتبليغ هذا فقال« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59) » سورة الأحزاب و هو عكس التبرج،والإبتعاد عن كل الشبهات أمر الله النساء عند خروجهن من بيوتهن يرتدين الجلباب يستر محاسنهن وأن لا يعرفن لأن هناك من يتعرض و يترصد نساء المعارف والجيران ... وهذا واقع معاش.

- الضرب بالرجلين : وهو آخر حكم في إبداء الزينة حيث كانت النساء يلبسن الخلخال فإذا أردن أن يجلبن نظرات الرجال إليهن يضربن بأرجلهن من جراء تقعقع الخلخال . ونحن عندنا اليوم الحذاء ذات الكعب الحديدي أو الخشبي فيسمع صوته من بعيد وترى الرجال تلتفت لترى الفتاة التي تكون مارة ....

- العدل:

إن الحق الثالث للمرأة على زوجها هو العدل وهو حق مشروط ،قد يكون له أساس ومكانة وواقع وقد يكون لا أساس له،وبصفة مختصرة قد يكون إلا توفر الشرط. وقبل كل شيء،فمفهوم العام للعدل هو التساوي والحفاظ على الحقوق لجميع الأطراف،والعدل لا يمكن أن يكون إذا كان يخص طرفا واحدا ولهذا لا يكون بين زوج وزوجة واحدة لأن في هذه الحالة فلكل واحد منهما حقوق خاصة، ثابتة كما شرعها الله. وفي هذا المجال وكما نعلم أن الله رخص وأباح للرجل أن يتزوج بأكثر من إمرأة واحدة وتعدد الزوجات وحدها أربعة وهذا في آن واحد. وهذه الرخصة مشروطة وتكون مبنية على العدل و التساوي بينهن. يقول سبحانه وتعالى « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا(3) » سورة النساء. وفي الآية فيها إباحة وتحذير.

فالإباحة هو السماح في الزيادة في عدد الأزواج حتى الأربعة، والتحذير هو النهي عنه إذا لم يتوفر الشرط وهو العدل بينهن. إذا وقع هذا الخلل أي إنعدام العدل بسبب الخوف لعدم القيام به ففي هذه الحالة صرف النظر عنه كليا والإكتفاء بواحدة فقط. وهذا أقل شيء بأن لا ترتكبوا ظلما بتفضيل واحدة على أخرى فيما لهن من الحقوق من مأكل ومشرب وخاصة المبيت، وبها ختمت الآية أن لا تجوروا أي تظلموهن بعدم توفير لهن نفس الحقوق والواجبات لكل واحدة منهن، لأن العول في الأصل هو الميب،من قولهم " مال الميزان عولا " أي مال وعال في الحكم إذ " جار" وهذا تنبيه من الله سبحانه وتعالى بالإبتعاد عن الظالم أي ظلم النساء ومخالفة أمره. ولهذا نصحنا إذا لم يستطع الرجل أن يعدل بين النساء، فمن الأجدر أن يبتعد عن هذا الأمر ويكتفي بزوجة

واحدة.وفي موضع آخر وفي نفس السورة بين لنا وهو أدرى بنا ومن سلوكاتنا، أننا لن نستطيع أن نعدل بين النساء مهما حاولنا حيث قال « وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا(129) »سورة النساء ،وهذه الآية لها شطران إثنان:

الشطر الأول هو أن أبلغنا بأن الرجل لا يستطيع أن يعدل بين الزوجات،وأن المتغى مستحيل المنال، الشطر الثاني فيها ينصح الزوج إذا صادفه وقد تزوج أكثر من واحدة أن لا يميل كلية إلى واحدة ويترك الأخرى كالمعلقة فلا هي متزوجة ولا هي مطلقة أي حرة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"من كانت له إمرأتان ،فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة و شقه مائل".من سنن الترميذي ، و تعد كبيرة من الكبائر و الواجب على الزوج أن يعدل بينهن في كل ما يستطيع العدل فيه، أما محبة القلب و ميله إلى إحداهن فهذا لا يستطيع الإنسان أن يدركه ،بل الذي يملكه هو أن يبيت عند كل واحدة كما يبيت عند الأخرى و إذا أراد السفر أن يقرع بينهما ، و كذلك أيضا يعدل بينهما في النفقة إلى غير ذلك مما يستطيع لقوله تعالى « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » و قوله تعالى «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ».

ونأخذ من سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم بعض الوقفات :

فائدة : رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم تزوج بأربعة عشر زوجة : ثلاثة منهن في مكة، والباقي في المدينة المورة . ومن هذه الأزواج إلا أمنا عائشة رضي الله عنها تزوجها و هي بكر. وأولى زوجاته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها،وهي الوحيدة التي لم يجمعها بزوجة أخرى حتى ماتت وهي الوحيدة التي أنجبت له أولاد."

فائدة : النساء اللاتي تركهن صلى الله عليه وسلم حال وفاته عنهن هن تسعة نساء :

عائشة بنت أبي بكر ،حفصة بنت عمر بن الخطاب، سويدة بنت زمعة ، أم حبيبة بنت أبي سفيان ،صفية بنت حيي بن أخطب ميمونة بنت الحارث الهلالية ، زينب بنت جحش ، أم سلمة بنت أبي أمية ، جويرة بنت الحارث المصطلقية(وزينب بنت جحش هي أول زوجة توفيت بعده) .

فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة" . صحيح النسائي ففي هذا الحديث قدم النساء، ولا يقال أن الإشتغال بمشاهدة المنعم يحجب عن اللذة لأنه يقال " أنه مقام بسط لإحلال وقيض" فعند ذلك يزداد قوة،ففي رواية البخاري عن قتادة أنه قال :حدثنا أنس بن مالك قال :كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل و التهار و هن إحدى عشر ،قال قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين و في رواية أربعين.قال الحافظ في الفتح: و في صفة الجنة لأبي نعيم من طريق مجاهد مثله و زاد " من رجال أهل الجنة" و عند أحمد و النسائي و صححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه "إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الأكل و الشرب و الجماع و الشهوة"فعلى هذا يكون قوة نبينا صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف (فتح الباري)، ورغم كل هذا العدد من الزوجات كان عادلا في المبيت حين يقوم بتقسيم الأيام بينهن فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول"اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك (أي القلب) " رواه أبو داود وباتفاق العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه في القسمة أي التناوب عليهن بتخصيص نفس الحصة في المبيت لكل واحدة منهن حتى مات، غير سويدة رضي الله عنهافيما بعد، فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها.

وروي عند ما تزوج بأم سلمة عند الدخول بها قسم لها ثلاثا ،و قال"إنّه ليس بك على أهلك هوان،إن شئت سبعت لك،و إن سبعت لك سبعت لنسائي"فإن كانت المنكوحة بكرا قسم لها سبعا ثم دار ،و إن كانت ثيبا قسم لها ثلاثا، ثم دار،كما فعل بأم سلمةرضي الله عنها لأنها ثيب.

ومن معاملته وعدله كذلك، كان إذا عقد العزم على سفر، إختار من تذهب معه بالقرعة كما روي ذلك عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها،خرج بها ،متفق عليه.

يقول الإمام المناوي، معلق أقرع بين نسائه تطيبيا لنفوسهن وحذار من الترجيح فلا مرجح عملا بالفعل.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال أهدت بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إليه طعاما في قصعة،فضربت عائشة القصعة بيدها فألقت ما فيها فلما آتت بطعام فألقى القصعة وقال صلى الله عليه وسلم طعام بطعام وإناء بإناء .رواه الترميذى وصححه ا لبخاري .وحكم العدل يقف على شرط نعدد الزوجات.

- الحفظ:

إن الحكم الثالث لحق الزوج على زوجته هو الحفظ، والحفظ هنا هو ستر وحفظ على سلامة دنس فراشه أي نوم مع رجل آخر و الحفاظ على ماله، وهذا أثناء غيابه عنها، وهذا شرط حتمي لأن الزوجة لا يمكن لها أن تخون زوجها بحضوره. إذا فهذا الحكم شرطي أساسه "إذا" وهو يقابل الحكم الذي مضى الذي هو كذلك يقع تحت الشرط إذا تعددت الزوجات. وسمى الله الزوجة التي تحفظ فراش زوجها بالمرأة الصالحة يقول عزوجل ((فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ(34))) سورة النساء ،وقال كذلك في هذا الشأن ((وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)). والحديث الآتي شمل كل شيء تاخذ منه وإن حقكم عليهن أن يحفظن فرشكم ولا يأذن في بيوتكن لأحد نكرهونه ولا ياتين بفاحشة مبينة و حفظ الفرج سواء من المرأة أو من الرجل اذ جاءت آيات عديدة : ((وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ(35)))سورة الأحزاب– ((وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6)))سورة النور– ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)))سورة النور ((وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ(31)))سورة النور.

-. ولهذا حذر الله كل من يخالف هذه الأوامر من كلا الطرفين، أن أعضاء فروجهم ستفضحهم غدا يوم القيامة أمام الله عز وجل بأنها ستسأل هذه الأعضاء و سينطقها الخالق، لقوله تعالى في سورة فصلت ((وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ

تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ(22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ(23) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ(24) ». هذه الآيات جاءت بأشياء عظيمة منها: الأعضاء و شهادتها ، ظن العبد بربّه ،جزاء مرتكبي الخطايا، تغيض الشيطان ، حق العذاب. في بداية الآيات، بين الله كيف يحشر أعداء الله يوم القيامة ويحشر كلا من كان من أهل خلود في النار كمطلقا من أهل الزمان بالآخرة والمراد موقف الحساب، وإنما عبر بـ"النار" لأنها عاقبة حشرهم وفستره البيضاوي" يحتبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا،فيساق آخرهم ليلحق بأولهم فيحص الإجتماع والإزدحام حتى يكون على القدم ألف قدم هذا معنى - فهم يوزحون وبعد تجمعهم يخلق الله في أعضاء الإنسان النطق والفهم والإدراك : كاللسان والسمع والبصر والفؤاد ، فتقر بما فعلته من المعاصي حقيقة . والسمع والبصر والفؤاد تسأل كما جاء ذكرها في هذه الآية « إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(36) » سورة الإسراء .

هذا من ناحية التحذير والتنبيه، وذكر معها هذه المرة أعضاء أخرى وهي الجلود، وهنا ليست الجلود التي تغطي الجسم، وإنما المراد بالجلود خصري الفروج أي أعضاء الجماع، ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية. ونطق هذه الجلود هو ظهور" النتونة" على فرج الزناة ونحو ذلك. وهذا التحذير والتنبيه تكرر ثلاث مرات أي ذكرت كلمة الجلود ثلاث مرات والسمع والبصر مرتين.روى ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك قال:" كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضحك ،فقال أتدرون مما أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم ؟، يقول بلى،قال فإني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهدا مني،فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهودا،فيختم على فيه، ثم يقال لأركانه " إنطقي" فتنطق بأعمالة ثم يخلّى بينه و بين الكلام،فيقول بعدا لكنّ وسحقا، فعنكن كنت أناضل". وبهذا يحذر الله كل خائن فراش سواء الرجل أو المرأة، بأنهم ستفضحهم جلودهم، مبررا بأن ظنهم بربهم " بأن

الله لا يعلم كثيرا مما كانوا يفعلون،لأنهم كانوا عند إتيان الفاحشة يسترون أي يستخفون من هؤلاء الشهود حيث كانوا يفعلون سرا وخيانة.

فائدة : إعلم أن الظن قسمان : حسن وقبيح : فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والإحسان والخير. وجاء في الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي – والقبيح أن يظن بالله نقصا في ذاته أو صفاته أو أفعاله. وبينت تلك الآيات أن هؤلاء سيهلكهم الله لقوله أرداكم فأصبحتم من الخاسرين.وهنا لا إنفلات من العقاب : فإذا صبروا على العذاب فالنار مأوى لهم، وإن يطلبوا العتبى أي الرضا (وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين أي من المرضيين. وهؤلاء جعل لهم الله أسباب هلاكهم وقيضنا لهم قرناء من الشياطين يلازمونهم ويستولون عليهم إستيلاء القيض(وهو قشر البيض على البيض) فزينوا لهم من القبائح ما بين أيديهم وما خلفهم. قال القشيري:" إذا أراد الله بعبد سوءا قيض له إخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه إليها، والعكس قرناء الخير.وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ما بعث الله من نبي ولا إستخلف خليفة إلا كانت له بطانتان،بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه،والمعصوم من عصمه الله"رواه البخاري.

- المودة والرحمة:

إن هذا الحكم السابع يقول الله مخاطبا الزوجين « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) » سورة الروم،ففي بداية هذه الآية إشارة من الله بأن المعاشرة بين الزوجين سكن وسكينة هذا يسكن في الآخر ومثل لنا في آية أخرى حيث وصف لنا المعاشرة باللباس قال تعالى «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ». ومن خلال الآيتين برز دور المرأة في المعاشرة حيث في الآية الأولى أي في معنى السكن قال الزوج هو الذي يسكن إليها فقال « لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا »وفيما يخص اللباس الذي جاء في الآية الثانية فبدأ بالمرأة أي هي لباس الرجل فقال« هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ » وهذا ما يدل ما للمرأ ة من دور في

المعاشرة .واللباس هو ستر أي الزوجة ستر لزوجها والزوجة ستر لزوجته ويخدمها من وراء الستاروللباس يسلك في العنق ويستر عورات كل منهما، فالمرأة تسلك في عنق الرجل والرجل يسترها أي يحتاج كل منهما المصاحبة. والحكمة في تقديم قوله « هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ »مثلا وإن طلب المواقعة غالبا ما يكون إبتداء من الرجل، لحاجة الرجل إليها أكثر لما جاء في الحديث لا خير في النساء ولا صبر عنهن يغلبن كريما ويغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولا أن أكون لئيما غالبا.

وختم هذا الحكم « وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً »، فالمودة هو الحب أو المحبة، ومن ورائه التعاطف والحنان، والرحمة هي الشفقةو الرأفة والتسامح.. وهما يكونان متبادلان بينهما أو ربما تكون المودة من طرف المرأة تأتي بحبها لزوجها حتى تجلبه إليها ومقابل هذا يأتي هو بالرحمة فيكون مشفقا عليها ومتسامح ،وكل جائز. وبهذه الخصلتان يحلى التعايش بينهما ويستقر البيت ،أليس هذا بحكم مشترك. إذا فالمودة والرحمة لازمتان وأساسيان في المعاشرة الزوجية حيث أن العلماء قالوا إذا غاب عنصر منهما أي غابت المودة أوغابت الرحمة بين الزوجين فمن الأحسن التفرق بينهما. وختمت الآية « لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » أي يتأملون في تلك الأشياء ليحصل لهم الإعتبار وزيادة في الإيمان.

- خلاصة أحكام المعاشرة :

إن أحكام المعاشرة جاءت على شكل زوجين زوجين أي كل حكم يقابله حكم :

الصداق	يقابله	الطاعـة

الإستحياء	يقابله	التكفل
الحفظ	يقابله	العدل
	المودة و المحبة	

- فالصداق و الطاعة أمران أساسيان في بناء البيت الزوجي فهما مفروضان، وهما قاعدتا تأسيس البيت.

- التكفل والإستحياء يأتيان بعدهما وهما يكونان جدر البيت.

- العدل و الحفظ يقومان إذا توفر الشرطان : تعدد الزوجات وغياب الزوج .

- والمودة والمحبة يشتركان فيهما الإثنين.

والخلاصة هل هذه الأحكام جاءت هكذا صدفة.؟ ولا يسعنا إلا أن نقول كما قال سبحانه وتعالى((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82))) سورة النساء .

تشريع الفراق

- الصلح

- الطلاق

- العدة

- القرار

- الحمل

- النفقة

- الرضاعة

أحكام الفراق

إن أحكام الفراق وما يتبعه من تدعيات وإحترام الحقوق لكل طرف فهي مبنية هي كذلك على سبعة أحكام عريضة قابلة للتفصيل. وهذه الأحكام السبعة تترابط فيما بينها وهي كالآتي :

	الصلح	
الطلآق	⟷	العـدة
المعـروف	⟷	الحمـل
النفقـة	⟷	الرضاعة

- الصلح:

إن أول حكم يأتي في بداية النزاعات بين الزوجين هو الصلح،وهذا لتفادي إنفصال الزوجين عن بعضهما البعض لأن الله لا يحب التفرقة في جماعة المؤمنين بل أوامره في هذا الصدد تدعى إلى الجماعة ولم الشمل وتقوية الصفوف. فأمر المومنين بالإبتعاد عن النزاعات التي هي سبب الإنشقاقات والتفرقة فقال ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم و أول سلاح لهذا هو الصبر فقال تعالى « وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46) » سورة الأنفال، وأمر المؤمنين بمبادرة الصلح ولم الشمل بين طوائف المؤمنين فقال سبحانه« وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا(9) »سورة الحجرات، ويكون هذاحسب ما جاءت به الآية أن الصلح مبني على العدل والقسط ما بين الطرفين.

والصلح له مزايا كثيرة، كما تبين ذلك وهو عدم التشتت و التفرقة وظهور الفجوات وإدامة الأزمات وتوتر العلاقات إلى غير ذلك من الأمور التي تمزق مجتمعات المؤمنين والمسلمين و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يد الله مع الجماعة"رواه الترميذي. وإن مع التفرقة الضعف والذل ومع الإتحاد القوة والنصر.فكان هذا في جماعات المؤمين، فكيف بذات البين، قال نعالى عنه « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا

ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(1) » سورة الأنفال ،والصلح بين الزوجين يأتي في الدرجة الأولى للصلح بين ذات البين، إذ جعله الله من التقوى. وأوصانا الله عندما ينشب النزاع بين الزوجين فيجب الإسراع بالصلح بينهما لقوله « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا(35) » سورة النساء.الطرفان يشاركان في الصلح " حكم من أهله وحكم من أهلها" . أليس هذا بحكم مشترك؟ فهذا الخطاب موجه لولاة المسلمين، وأعيان العشائر ورجال عدل من أهل الزوجين... وينبغي لكلا الحكمين أن يتميزا بالحكمة والعدل ووقار وإحترام ، واعلم أن الحكمين من الأهلين واجب عند " مالك" ،وهذان الحكمان يكونان رجلان عدلان فيجتهدان ويأمران الظالم منهما بالرجوع إلى الصواب، ومرد الزوجين للإصلاح في المعاشرة بالمعروف وترك ما سيء ويحصل التوافق بإذنه تعالى.

وعن الحكمين دائما، جاء عن مالك أنه قال أن علي بن أبي طالب قال في الحكمين: إن إليهما الفرقة بينهما والإجتماع أي القرار بيدهما. قال مالك إن أحسن ما سمعت من أهل العلم : أن للحكمين يجوز قولهما بين الرجل وإمرأته في الفرقة والإجتماع، أي يجوز لهما بعد التقصي والإطلاع على سبب النزاع، لكل واحد منهما أن ينطقا بالفراق أو الإجتماع بينهما حتى وأنه في حكم الصلح، تجاوز الله عز و جل فيه بعض الأمور، كتنازل المرأة على حقوقها إن رأت الصلح فيه خير يقول تعالى « وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا(128) » سورة النساء. وهذه الآية جاءت لتبين لنا بأن المرأة إذا توقعت ترفع زوجها عليها بترك مضاجعها، والتقصير في بعض نفقاتها، وطموح عينيه إلى أجمل منها، وكذلك بإعراض عنها بوجهه أي عدم إظهار البشاشة في وجهها، ولقاؤها بوجه عبوس، فلا جناح عليها أن تتنازل عن حقها بأن تترك شيئا طلبا بقاء المحبة، فإن رضيت بذلك طواعية، وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها ويفارقها ،قال تعالى في ذلك « وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ » ولهذا فالصلح خير من الفرقة والنشوز والإعراض ، وقال الله في بيان ما جبل عليه الإنسان «

وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ » أي شدة البخل و جبلت عليه فكأنها حاضرة لا تغيب عنها، والمعنى لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح بنفسه إذا أحب غيرها، قال تعالى « وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ(62) » سورة يس، ثم ذكر الله الرجل إذا أحسن عشرة زوجته واتقى الجور فإن الله يجازيه « وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا » ،إذن فلا إثم على المرأة إذا صالحت على ترك القسم والنفقة والكسوة، ولا على البخيل في قبول ذلك منها. ونفي الجناح على الرجل ظاهر لأنه يأخذ منها شيئا فهو مضنة الجناح، وما نفى الجناح على المرأة فمن حيث دفع ذلك لأنه ربما يقال إنه كالزنا، فإنه حرام على الدافع و الآخذ، مما لها من الحقوق التي شرعها الله كالنفقة والكسوة والمبيت إن رضيت هي بذلك. وخلاصة القول لا يكون هذا التنازل منها إلا برضاها الكامل فلا ينبغي ولا يجوز للزوج أن يرغمها على ذلك. وختمت الآية « فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً » أي خبير بعمل الرجال مع النساء، فله دراية كاملة ولا يخفى عليه خافية سواء كان خيرا أو شرا في المحبة. وبهذا تستخلص بأن الله يحب مساعي الصلح للجمع بين الزوجين وينبذ التفرقة و الطلاق.

- الطلاق:

إن فشلت مبادرة الصلح، وإستحال وتعسر الأمر وسدت كل الأبواب، وجب فراق الزوجين، وكل واحد منهما يغنيه الله من سعته قال تعالى« وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا(130) » سورة النساء،و الطلاق هو فراق الزوجين عن بعضهما إذ لا يصبح بينهما أي ترابط مهما كان . والطلاق بيد الزوج هو الذي يطلق، فالله هو الذي جعله له في عصمته، وقد تبين هذا في عقد الزواج،بحيث أن ولي الزوجة هو الذي يعقد عقدة الزواج بكلمة " زوجتك" ويسلم أمر حلها للزوج ويكون حلها بكلمة " أنت طالق" مصدرها فعل" طلق يطلق تطليقا وطلاقا" أي معناه يقول لها" فأنت حرة لست مرتبطة بي من الآن فبإمكانك أن ترتبطي بزوج آخر غيري ".

والطلاق كرهه الله عز و جل لعباده،كما رأينا آنفا عند نشوب أي نزاع يسرع بمبادرة الصلح،فقد جاء في مختصر السنن لأبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما،عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :أبغض الحلال إلى الله عز و جل الطلاق"و رغم إختلاف العلماء في وصله و إرساله إلا أنه في المعنى صحيح فلا ينبغي للمرء أن يطلق زوجته من غير حاجة ،قال تعالى « فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا(19) » سورة النساء ،وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منهاخلقا رضي منها آخر "رواه مسلم،و الفرك يعني البغضاء و العداوة .

إن الزواج شيء مقدس، وليس بتشبيع رغبات الرجال والنساء إشتياه بعضهم بعضا والوصول إلى التذوق والتلذذ لفترة ما، وبعد إشباع رغباتهم، ينفصلان وكأن شيء لم يقع . وحذرنا الله لمن يستهان بهذا الأمر ،يتزوج ويطلق متى شاء وبدون أسباب، وحسب هواه وحسب نزواته فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :لا تطلق النساء إلا من ريبة ،إن الله تبارك و تعالى لا يحب الذواقين و لا الذواقات " رواه البزار ة الطبراني في الكبير و الأوسط

وطبيعة الحياة تقتضي إصطدام الزوجين،ولنا مثل في أزواج بعض الرسل،ذكرهن القرآن الكريم في إمرأتي نوح و لوط عليهما السلام في سورة التحريم « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ(10) »،فرغم أنهما كانتا تقفان ضد أزواجها في أداء رسالة الله إلا إنهما لم يطلقانها. ومثل آحر عن زواج نبينا صلى الله عليه وسلم لما تآمرت عليه كلهن لم يطلقهن بل أمرهن الله عز و جل أن يخترن بين متاع الدنيا وزينتها فيتم تسريحهن سراحا جميلا، أو إن يردن الله ورسوله والد ار الآخرة لقوله « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(28) » سورة الأحزاب،ومن رحمته تعالى وحرصه على لم الشمل والإبتعاد عن الإنفصال،جعل المجال واسعا وجعل مخارج عدة عسى أن يستقر العيش والهدوء في البيت

الزوجي، إذ جعل الإنفصال النهائي لا يكون إلا بعد ثلاثة طلقات،قال تغالى « الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ(229) » سورة البقرة، فإن طلقها(الثالثة) « فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ (231) » سورة البقرة فالطلاق مرتان يعني الطلاق الرجعي يكون على مرتين أين يسمح للزوج بعد إنقضاء العدة أن يراجعها إذا أراد فله ذلك. وهذا من فضله وكرمه لم يقيد المؤمن حيث ترك له المجال واسعا. وسبب نزولها" أنه كان في صدر الإسلام إذا طلق الرجل إمرأته طلاقا رحعيا وراجعها في العدة كان له ذلك ولو طلقها ألف مرة، فكان عندهم شيء يسير" . فنزلت الآية فألغوا ما مضى. أما الطلقة الثالثة تسمى بالطلاق البت، يحرم إرجاعها إلا بعد أن تتزوج بزوج غيره (أي تتزوج وتطلق ؟) . ومعنى تعدد الطلقات أن العيش بين هذين الزوجين أصبح غير ممكن.هذا ما جاء في حالة الطلاق في كتاب الله العزيز الحكيم.

وهناك حالات أخرى تطرق إليها الشيوخ والعلماء نذكر نبذة مما جاء فيها:

- طلاق المريض:

عن إبن شهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال وكان أعلمهم بذلك عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمان بن عوف طلق إمرأته البتة وهو مريض فورثها عثمان بن عفان من بعد إنقضاء عدتها.

- وعن الأعرج أن عثمان بن عفان ورث نساء بن مكهل منه وكان طلقهن وهو مريض .

- وعن مالك أنه سمع بن شهاب يقول إذا طلق الرجل إمرأته ثلاثا وهو مريض فإنه ترثه.

- قال مالك : وإن طلقها وهو مريض قبل أن يدخل بها فلها نصف الصداق ولها الميراث ولا عدة عليها، وإن دخل بها ثم طلقها فلها المهر كله والميراث للبكر والثيب في هذا عندنا سواء .فالأمر واضح فهذا عن الزوج الذي يكون مريضا ويتوفى.

- طلاق المس:

عن سعيد إبن المسيب أنه كان يقول من تزوج إمرأة فلم يستطع أن يمسها، فإنه ضرب له أجل سنة، فإن مسها فلا حرج، وإلا فرق بينهما.

- طلاق السكران:

عن مالك أنه بلغه أن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار سئلا عن طلاق السكران : إذا طلق السكران جاز طلاقه وإن قتل قتل به. قال مالك وعلى ذلك الأمر عندنا.

- طلاق الإحتياج:

عن مالك أنه بلغه أن سعيد بن المسيب كان يقول إذا لم يجد الرجل ما ينفق على إمرأته فرق بينهما.قال مالك على ذلك أدركت أهل العلم ببلدنا.وفي الجملة فالإحسان إلى النساء من مكارم الأخلاق وإن وقعت منهن إساءة .فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "استوصوا بالنساء خيرا " رواه البخاري و مسلم و عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي" رواه الترميذي و صححه الألباني ،و عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم و المرأة" رواه أحمد. و هذه إنما تدل على ضرورة معاملة المرأة برفق و شفقة ، و أم لا يكلفها الرجل بما لا تطيق، و لا يقصر في حقها الواجب و المندوب، ووصفها بالضعف استعطافا و زيادة في التحذير و التنفير ،فإن الإنسان كلما كان أضعف كانت عناية الله به أتم ،و انتقامه من ظالمه أشد. والصبر هو سر العلاج والله يحب المحسنين وعلى الزوجة كذلك أن تتسلح بالصبر والحكمة.

- العدة:

إن النطق بالطلاق يستلزم العدة، والعدة هي المدة الزمنية المحددة لتفريق الزوجين في المضاجع. فطيلة هذه المدة يجب على الزوج أن لا يمس ولا يقترب من زوجته حتى تستوفيها.

والعدة نوعان : النوع الأول يخص المرأة المطلقة، والنوع الثاني المرأة المتوفي زوجها.

- **النوع الأول:** يشمل فئتين من النساء : النساء في طور الحيض والنساء التي لا تحيض، سواء لكبر السن أو لصغر السن.

و مما لابد من الإشارة إليه، أن المرأة المطلقة والتي لم يدخل بها زوجها أي لم يمسها، سواء من إحدى الحالتين فليس عليها عدة كما نص على ذلك الكتاب الكريم ، قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(49) » سورة الأحزاب، أما المرأة التي دخل بها زوجها ويجهل إن كانت حاملا أم لا فوجب عليها العدة والحرص عليها. فعن سعيد إبن المسيب أنه كان يقول الطلاق للرجال والعدة للنساء. وخص بها النساء نظرا لما يخفى في بطنها. لكن هذا لا يعني بأن الزوج غير معني بالأمر، بل لابد بإحصاء ومتابعته منذ بداية النطق بالطلاق لأن الأمر في النهاية يهمه هو بالدرجة الأولى، حيث يكون القرار النهائي بيده : إمساك أو تسريح، وهذا شيء هام حذر منه الله سبحانه و تعالى حيث أمر نبيه في سورة الطلاق « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ (1) » سورة الطلاق.والمدة الزمنية مرتبطة بالحيضات والطهر. وهي التي تحيض وتطهر وهي أدرى بذل، فهي التي تحصي عدد الحيضات والطهر، وهي أمينة على فرجها.لكن الرجل عليه بعد عدد الأيام وهي أقصاها ثلاثة أشهر ،وحددها الله في كتابه والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء وحذرها من الكتمان إذا كانت حاملا قال تعالى « وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ(228) » سورة البقرة،أي إن كانت إمرأة صالحة. وكلمة " قروء " جمع قرء وهو الطهارة من الحيض.

واختلف الفقهاء في القرء: منهم من وصف القرء بالطهر وهو ما ذهب إليه مالك والشافعي وأحمد، ومنهم من قال إنه الحيض وذهب إليه أبو حنيفة وأحمد في آخر أمره . وتظهر ثمرة الخلاف فيما إذا طلقت في طهر ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت :

طهور ← حيض ← طهور ← حيض ← طهور ← حيض

1 2 3

أما إذا طلقت في حيض :

حيض ← طهر ← حيض ← طهر ← حيض ← طهر

1 2 3

فهذه الحالة بالنسبة للمرأة التي تحيض .

أما بالنسبة للمرأة المطلقة التي لم تحض كالمرأة المسنة التي إنقطعت دورتها الشهرية، أو البنات الصغيرات اللآتى لم يبلغن بعد أو التي عندها إ ضطراب في الحيض فعدتهن ثلاثة أشهر لقوله تعالى« وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) » سورة الطلاق ،

فائدة: هذه الآية نزلت في حكم من لا تحيض لصغر أو كبر ،قال ابن كثير في تفسيره يفول تعالى مبينا لعدة الآيسة و هي التي انقطع عنها المحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عزض الثلاثة قروء في حق التي تحيض و كذا الصغيرة اللآّئي لم يبلغن ست الحيض أن عدنهم كخدة الآيسة ثلاثة أشهر،قال أبي بن كعب :يا رسول الله ،إن عددامن النساءلم تذكرفي الكتاب: الصغار و الكبار و أولاتالأحمال، قال فأنزلت هذه الآية تبيانا للحكم.و وجب على الزوج النفقة عليها حتى تلد وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن .

فائدة: أول سن اليأس ستون سنة، وما بين الخمسين والستين قد يكون حيضا أو ليس بحيض، وما قبل الخمسين إن حست بسيل فهو حيض قطعا.وهذه الآية جاءت إن دخل الشك في إحصاء العدة لتقطع الشك باليقين، سواء حاضت أو لم تحض فحساب المدة يكون هو الحل و هي ثلاثة أشهر.

وشدد الله ووعد المخالفين لما نهى عنه وهو على الزوجة المطلقة أن تبقى في بيت زوجها أثناء العدة وهذا ما جاء في بداية سورة الطلاق،وسمى هذا النهي بحد من حدود الله ، والمتعدي لحدوده سينال جزاؤه لقوله « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا(1) » سورة الطلاق،

إذا أثناء العدة نهى الله عز و جل عن إخراج المطلقة من بيتها حتى تستوفي عدتها ويأخذ الزوج القرار النهائي إما الإمساك أوالتسريح . وما دام لم يأخذ هذا القرار فالزوجة ما زالت تحت وصايته ورعايته وطاعته، ومكوثها في بيت زوجها له أمران :

- الأمر الأول: أن تبقى في رعاية زوجها ولها الحق في المأكل والمشرب والكسوة، وليس لها الحق في الخروج من بيتها متى شاءت وأين ما شاءت ولا أحد يحاسبها،لا يجوز أن تخرج ولو بإذن زوجها لأن العدة حق الله سبحانه و تعالى, وهذا الحكم لا يسقط بتراضيهما، أين نحن من تطبيق هذا الحكم ؟ ؟بل أكثر من هذا أصبح عندما يقع نزاع خفيف أو إشكال بين الزوجين، تخرج الزوجة من بيت زوجها وتذهب إلى بيت أهلها وتخرج كيف ما شاءت وتذهب أين ما شاءت، متناسية أنها بذلك خالفت وتعدت على شرع الله. لنفق من سباتنا ونرجع إلى الله.

- الأمر الثاني: من حكمته تعالى تكون المور معسرة ثم يأتي الفرج من عنده فقال سبحانه « لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» أي يصفى الجو وترجع الألفة والمودة وتعود المياه إلى مجراها من جديد ويكون القرار بالإمساك .

والعدة لها عدة مزايا منها :

- عزل الزوجين عن بعضهما فلربما يقع الحمل في هذه المدة وسمى الله العدة بالتربص.
- الإطلاع على الكشف النهائي لما تحمله البطن.
- إعطاء مهلة للمراجعة والتأمل ومحاسبة النفس.
- الحس بالنقص والحاجة لبعضهما من خلال العزل لمدة طويلة والإشتياق إلى بعضهما وهذا يؤثر على أخذ القرار النهائي عند إنتهاء العدة.

وهناك عدة لمن فقدت زوجها فلم تعلم عنه شيئا: فعن سعيد إبن المسيب أن عمر بن الخطاب قال أيما إمرأة فقدت زوجها ولم تدري أين هو فعليها أن تنتظر أربع سنين ثم تعتد أربعة أشهر وعشرا ثم تحل. قال مالك : و إن تزوجت بعد إنقضاء عدتها فدخل بها زوجها أو لم يدخل بهافلا سبيل لزوجها الأول إليها.قال وذلك الأمر عندنا. وإن أدركها زوجها (الأول) قبل أن تتزوج فهو أحق بها.

- عدة الوفاة :

النوع الثاني من العدة يخص المرأة التي توفي عنها زوجها. وجاء فيها أحكام خاصة بها، من مدة العدة. وما يجوز فعله في نفسها بعد إنتهاء التربص، وما يباح من التعرض لها لاإلى غير ذلك. وجاء هذا في موقوعين في سورة البقرة: آيتين (234) و(235)– (240) . وما جاء في الموقع الأول يقول الله عز وجل « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235) »

. وما جاء في الموقع الثاني يقول الله جل جلاله « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240) »

ويستخلص مما جاء في الموقع الأول مايلي :

- تحديد مدة العدة للمتوفي عنها زوجها
- حرية التصرف في نفسها بعد العدة.
- عدم عقد نكاحها أثناء التربص.

- **التربص :** إن تربص الزوجة المتوفي عنها زوجها يحتوي حالتين :

الحالة الأولى : المرأة الحامل

الحالة الثانية : المرأة الغير الحامل

- **تربص المرأة الحامل :** فليس لها مدة معينة لأن عدتها تنتهي بمجرد وضع حملها أي بعد الولادة ونعيد الآية في هذا الشأن « وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» . إن حكمة فرض العدة هو التأكد ما يوجد في البطن .لنفرض أن المرأة حامل من زوجها وأخفت حملها،حرم الله هذا« وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ» وتزوجت برجل آخر لمن ينسب الولد لأي زوج منهما ؟ولهذا قال تعالى في حالة الحمل « وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا » وحتى التبني حرّمه الله فكيف بالولد من الصلب. إنّ ربّنا حكيم عليم. وجاءت أحاديث في الموضوع كثيرة فعن سلمة بن عبد الرحمان أنه قال سئل عبد الله بن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم:" إذا ولدت الحامل يتوفى عنها زوجها فقال إبن عباس "آخر الأجلين" وقال أبو هريرة " إذا ولدت فقد حلت". فدخل أبو سلمة بن عبد الرحمان على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أم سلمة: ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بنصف شهر فخطبها رجلان أحدهما كهل والآخر شاب،فمالت للشاب أي إختارته، فقال الشيخ لم تحلي بعد وكان أهلها غيب (جمع غائب) ومقصده في ذلك إذا جاء أهلها يؤثروه بها فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حللت فانكحي من شئت.

وجاء عن عبد الله بن عمر إذا وضعت حملها فقد حلت، فأخبره رجل من الأنصار كان عنده، أن عمر بن الخطاب قال لو وضعت وزوجها على سريره لم يدفن بعد لحلت. وهذا يبين أن المرأة المتوفي زوجها وهي حامل منها مثل المرأة المطلقة الحامل .

- **تربص المرأة الغير الحامل المتوفي عنها زوجها:** فعليها حتى يتأكد من عدم حملها أن تتربص أربعة أشهر وعشرا « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(240) » ،وهذا خلاف للمرأة المطلقة، ما الحكمة في تشريع هذه المدة الطويلة؟ فالحكمة بالغة وهو أن يزول كل شك بأنهاليست حاملا لأن زوجها الذي يحصي العدة غير حاضر.

ولم هذه المدة بالتحديد؟ ما الحكمة في ذلك؟ إن هذه المدة أربعة أشهر وعشرا هي نصف مدة الحمل ففيها يتبين الحمل في الأربعة أشهر ويتحرك في إبتدائه في الشهر الخامس وعندها بخروج بطنها ويظهر حملها ولا مجال لها للكتمان إن أرادت هي ذلك.

وهنا إن كانت حاملا فتتربص حتى تضع حملها وإن كانت غير حامل يسمح لها بالزواج ويزوجوها... ما أحكمك يا الله إنك لا تشرع هكذا بل كل شيء عندك بعلم وبمقدار.

ب – حرية التصرف في نفسها بعد إنتهاء العدة أي العودة إلى حياتها الطبيعية كالتزين مثلا، ويقصد به التزين الشرعي أن تفعل ذلك ببيتها وتحت مراقبة ولي أمرها لأن الخطاب موجه لوليها" بما تعملو ن خبير تحذير لهم إنكم أنتم المسؤولون عنهن،وجاء ذكرهن في المخاطب .فليس عليهن قال تعالى « فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(234) » سورة البقرة.

ج - التعريض هو التلميح من خطبة النساء المتوفى عنهن أزواجهن في العدة ويكون قولا بالمعروف مثلا إني راغب فيك أو عند إنتهاء عدتك أخبريني ونحو ذلك،ولهذا قال سبحانه « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ» أي يلمح لها بأنه يريدها كزوجة. « أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ » أي أضمرتموه في أنفسكم قصد نكاحهن ولهذا قال تعالى« عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ» بالخطبة ولا تصبرون عنهن ولذا أباح لكم التعريض « وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا» أي ما عرف شرعا من التعريض فلكم ذلك.

- غقد النكاح : حرم عقدة النكاح قبل إنتهاء العدة لقوله « وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»، وحذر من هذا فقال تعالى « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ» .

أما الآية التي جاءت في الموقع الثاني وصية للأزواج أي وصية أهليهم بأن يمتعوا أزواجهم وأن لا يخرجوهم لمدة سنة بعد وفاتهم فقال « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ»، وهذا ليس ملزما لأنه قال تعالى « فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ» أي خرجت بمحض إرادتها وبدون إكراه أي من معروف فلها ذلك .

- القرار:

بعد إنتهاء العدة في الطلاق الرجعي يجب على الزوج أخذ القرار فورا، وهذا القرار له حالتان : إمساكها أو فراقها لقوله « فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» سورة الطلاق. وذكر في الحالتين كلمة " بمعروف". والمعروف هو الصنيعة التي يسديها المرء إلى غيره. والصنيعة هي الإحسان وفعل الخير. إذا عند إ نقضاء العدة أي أشرفت عليها أي لأجله يكون الإختيار للزوج ، وكما سبق الذكر فإن مصير العقدة أصبح بيده. وأي قرار يتخذه يكون ملزما بالمعروف .

- الإمساك بالمعروف:

هو إرجاع الزوجة على ذمته كما كانت من قبل أي إلى المعاشرة من جديد بنية الصفاء وطي صفحة الخلافات التي أوصلت بها إلى الإنفصال المؤقت والمحدود وهذا مع حسن العشرة وما تتطلبه أحكام المعاشرة. ولا يجوز أن يكون الإمساك والرجوع كمجرد خطوة للإلحاق الضرر بها بنية الإنتقام، أو دفعتها إلى السماح في حقوقها وإطالة الحبس عليها أي إطالة العدة إلى الإقتداء والتطليق وتركها متعلقة ما بين الإمساك وما بين التسريح. والتصرف هذا أي إطالة العدة وإلحاق الضرر بها فهو مخالف لشرع الله ويحسب على الزوج إعتداء وظلما، إذ حذ ر الله الأزواج الذي لا يخفى عليه شيء قال تعالى «وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(231) » سورة البقرة. وهذه الآية جاءت بعدة مسائل :

- **بلوغ أجل العدة :** وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ

- **أخذ القرار بالمعروف :** فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

- **عدم إلحاق الضرر :** وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا

- **جزاء المعتدي :** وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ

- **عدم الإستهزاء بآيات الله و وعيده :** وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا

- **التذكير والموعظة :** وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ

- **تقوى الله واتباع أحكامه :** وَاتَّقُوا اللَّهَ

- **التخويف والتحذير :** وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

والنقطة الأخيرة عند بلوغ الأجل، وجه الله عز و جل خطابا ناهيا لأولياء الزوجات الذين يمنعون بناتهم بالرجوع إلى أزواجهن إذا رغبن في ذلك . يقول المولى عز وجل« وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(232) » سورة البقرة. وهذه الآية نزلت وكما رواه الحاكم أن سبب نزولها أنّ أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها أخوها معقل. إذا فبعد إنقضاء العدة وتراضا الزوجان فلا ينبغي منعها وهذا خير لأولياء الزوجات ويكون نافع لهم لما فيه المصلحة للجميع كما دلت على ذلك الآية ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ.

- التسريح بالمعروف :

إذا فشل الرجوع يجب فراق الزوجين بعد إنتهاء العدة وهذا أن يسرح االزوج زوجته وكل واحد منهما يغنيه من فضله لقوله « وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا(130) » سورة النساء،
والتسريح يكون سراحا جميلا كما قال الله عز وجل لنساء النبي« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(28) » أي يليق بكرامة الزوجة ودون المساس بأحوالها و ذكر مساوئها سواء كانت حقيقة أم لا. هذا من الناحية المعنوية للزوجة، أما من حقوقها فيجب عليه إعطاء حقوقها كما نص عليه القرآن الكريم، وهما الصداق والمتاع. ولابد من توضيح الأمور في هذا الشأن، الذي يذكر هنا ما جاء في الكتاب أما ما هو منصوص فى محاكمنا فولاة أمورنا سنوا شرعا وهم يحكمون به ولا تعقيب عليه سواء كانوا على حق أو لا فهذا يخص أصحاب الشأن ولا يخصنا.
حقوق المرأة التي نص عليها الكتاب فهو صداقها و المتاع،فعن الصداق فتأخذه كما قدم لها ولو كان هذا المهر يقدر بقنطار من الذهب أو الفضة يقول سبحانه وتعالى « وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا(21) » سورة النساء، ويذكر الله هنا الزوج بأن زوجته أخذت منه ميثاقا بأن يعاملها حسب ما جاء في الكتاب وعن الصدا ق وقد نبه بأن أخذه بهتان وإثم مبين. و الآيات واضحة بيّن الله من خلالها أن الصداق ملك للزوجة، وأخذه هو بمثابة تعدي وبهتانا إرتكاب إثما مبينا. وقد ذكر الزوج بإمتثاله إلى أحكام الله في مراسيم عقد الزواج عندما طلبها من أبيها،صرح أمام الشهود على كناب الله وسنة رسوله مع العلم أنها هي كذلك تعهدت لزوجها و سمى الله هذا العهد بالميثاق الغليظ ، وقد حرم الله أخذ الصداق إلا إذا أتت بفاحشة مبينة لا رميا ،أي لا بالقذف هكذا قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا(19) » سورة النساء. في هذه الآية عدة مزايا منها:
- عدم إمساك الزوجة إكراها،عدم عضلهن أي إساءة عشرتهن لكي يسمحن في حقوقهن ونبه الله في حالة كره الزوج ورغبته في فراقها سيكون فيه خيرا كثيرا إن أمسكها فلربما ستلد له ولدا صالحا يدعو له.فكان هذا بالنسبة للزوجة التي دخل بها زوجها، أما التي لم يدخل بها زوجها فلها نصف المهر وليس عليها عدة وتسرح سراحا جميلا لقوله تعالى « وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(237) » سورة البقرة.

أما عن الحق الثاني للمطلقات فهو متاع الطلاق، ومتاع الطلاق هو ما يعطيه الزوج لزوجته وهو من حقها،قال الله عز وجل «وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242) » سورة البقرة.

ومتاع الطلاق ليس له قدر معلوم ثابت ،قال تعالى في موضع آخر من نفس السورة « وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236) » .

قال مالك ليس للمتعة عندنا حد معروف في قليلها وكثيرها.

- الحمل:

الحمل أمر عظيم عند الله عز و جل وليس بالأمر الهين، ويرجى من خلاله الحفاظ على العرق وعلى السلالة وعلى النسب، وكل شيء يصب في الأساس وهو إ ختلاط الخبيث بالطيب أي تجنب إ ختلاط البائن الشرعي بالخفي المدسوس والكاذب. ولهذا فرض العدة على المرأة في الطلاق الرجعي وحددها كما ذكر سابقا بثلاثة قروء، أي ثلاثة طهر،كما جاء في محور العدة، وهنا حكمة أخرى لماذا ثلاثة قروء؟

أولا : لأن طهر واحد أو إثنين ربما يكون من جراء مرض من أمراض النساء "كالرتق، والقرن، والعضل، والبخر والإفضاء.

ثانيا: ليتأكد ما في بطنها، إذا فهذا التربص فلابد منه حتى يتبين الخيط الأبيض من الخط الأسود، من الحيض وعدم وجود الحمل.

والحالتين لهما مسلكان : الأول إذا لم ترجع لزوجها يسمح لها بالتزوج برجل آخر، والثاني إذا كانت حاملا تمنع من التزوج حتى تضع حملها ونذكر بالآية قال الله تعالى « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(55)»سورة الذاريات،

« وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» . و للحفاظ على السلالة النقية، ينسب كل مولود لأبيه ولهذا حرم الله تعالى على المرأة المطلقة في حالة التربص أو عند الطلاق أن تكتم ما في بطنها ورحمها،فلها أن تمنع نفسها عن الزوج وتصبر حتى تضع حملها والزوج عليه أحكام سنذكرها لاحقا، ويكون له الحق وهو أولى بردها إن أرادا إصلاحا، وربما تبين الحمل سيكون سببا في رجوع الأمور إلى مجاريها. ثم إذا تكتمت على الحمل وتزوجت، لمن ينسب الولد ؟لأبيه الحقيقي وهل يرضى به الزوج الثاني ؟وإذا نسب إلى الزوج الثاني فهذا منكر و زور. قال

عز وجل « وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(228) » سورة البقرة ،وكما دلت عليه الآية أن التصريح بما في بطن الزوجة من الإيمان« إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» وهذا أمر عظيم ومسؤولية جسيمة على المرأة لأنها ستسأل عنها في الآخرة ،فالكتمان حرام ثابت لقوله « وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ».ونسب الولد لغير أبيه سينجر عنه سلبيات منها حرمان الولد مما ترك الوالدان الحقيقيان أي من الميراث، أو العكس قد يرث من الزوج الثاني بغير حق. ثم هناك أمور أخرى من أجل هذا حرم الله التبني وهو تربية ولد أو بنت ليس من صلبه وإعطاء إسمه.

وهناك أمر خطير قد يقع فيه الإنسان، بهذا الإنحراف بنسب الولد لغير أبيه فقد وهذا واقع الحدوث بأن يتزوج الولد بأخته وهم لا يدرون لأن الألقاب مختلفة،...لهذه الأسباب حرم الله التبني وجاءنا بقصة زيد الذي رباه الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى« وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (5) » سورة الأحزاب.هذه الآية نزلت في حق زيد بن حارثة، فقد روي أنه كان من سبايا الشام إشتراه حكيم بن حزام إبن خويلد فوهبه لعمته خديجة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه، فأقام عنده مدة، ثم جاء عنده أبوه وعمه ففدائه، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم " خيراه" أي أتركوه يختار إما أن يبقى معي أو يذهب معكم ، فاختار البقاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم على حزيمة وقومه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يا معشر قريش إشهدوا أنه إبني يرثني وأرثه، وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم على ذلك فرضي بذلك أبوه وعمه فانصرفا. بعد ذلك زوجه الرسول زينب بنت جحش، فمكث معها مدة ثم أخبره الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه زوجه

زينب وهذا بعد أن طلقها زوجها زيد. فتكلم المنافقون، و قالوا تزوج محمد حليلة إبنه وهو يحرمها كما جاء في النساء المحرمات على الرجل التزوج بهن، ومن بينهن حليلة الإبن من الصلب ،فنزلت هذه الآية.

فائدة : روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ما كنا ندعوا زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت أدعوهم لأبائهم أبلغ للعدل والصدق.وقوله فإخوانكم في الدين أي فادعوهم بمادة الإخوة بأن تقولوا له " يا أخي مثلا، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص وأردتم خطابه فقولوا له يا إبن عمي مثلا. إذا فلا يجوز نسب ولد من غير صلب أبيه،وخلاصة القول فحرام على المرأة إخفاء حملها إن كانت حاملا عند الطلاق ويظهر في العدة، فلتحذر حذرا شديدا من العقاب .

أما بالنسبة للأمهات، فلا يجوز أن تنادي أم بغير التي ولدت،أي التي حملته وولدته، وسمى الله هذا الإدعاء الكاذب بالمنكر والزور، لقوله تعالى « الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) » سورة المجادلة، إلاّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خصهم الله عز و جل بهذا التشريف بجعلهم أمهات المؤمنين

قال تعالى « النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ »ثم ذكر سبحانه بعد هذا« وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ » فأولوا الأرحام يتناسبون لبعضهم البعض أماغير ذلك فلا يجوز. وما رأينا في الحليلة تنادي أم زوجها بأمي وأب زوجها بأبي ، وزوج البنت ينادي أم زوجته بأمي وأب زوجته بأبي فمعنى هذا إذا إستجبنا لقولهم فالزوجان إخوة . أليس بقول منكر و زور .

- النفقة:

إن المرأة المطلقة طلاقا رجعيا يترتب عليها العدة والتصريح ،أما الزوج فتجب عليه النفقة سواء كانت حاملا أم لا ، و لهذا أمرنا الله سبحانه و تعالى بأن لا نخرجوهن من البيت حتى تنتهي عدتهن وبهذا تكون تحت كفالته ويلزم عليه المأكل والمشرب والكسوة .

أما إذا كانت حاملا فوجب عليه ان ينفق عليها سواء كانت عنده في البيت أو خارجه لقوله تعالى « وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ (6) » سورة الطلاق، ولم يحدد الشرع قيمة النفقة، فترك المجال كل حسب سعته أي حسب الوضع المادي لكل زوج ، قال الله عز و جل« لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ» ، أما المعسر الفقير فقال تعالى «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا(7) » سورة الطلاق.أي لا تكليف فوق طاقة كل نفس،يجب على الزوج نفقة المطلقة الحامل منه بقدر طاقته،فاختلف العلماء في قدر هذه النفقة (للعلم بالشيء فقط) :

فمذهب الشافعي يلزم الزوج الميسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد واحد.عند المالكيةيفرض قوت وأدام وكسوة و مسكن بقدر سعته وحالها.

وختمت الآية «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» فهذه إشارة للفقراء أي فلا تقنطوا فعن قريب يحول الله حالته إلى السعة،و قد روى الحاكم عن الحسن البصري مرسلا قال :خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فرحا يضحك و يقول :"لن يغلب عسر يسرين"و رواه البيهقي في شعب الإيمان.إذا فالنفقة للحامل حتى تضع حملها واجبة، لكن حسب حال الزوج وسعته في المال.

هذا عن النفقة التي تخص الأم،و هناك نفقة كذلك تخص المولود فيجب الإنفاق عليه من إطعام و كسوة وهذا بالمعروف لقوله تعالى «وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا(233) » سورة البقرة ،سيتم التطرق للموضوع في المحور الآتي (الرضاعة) .أما المرأة الحامل والمتوفى عنها زوجها فلا نفقة لها لإستغنائها بالميراث.

- الرضاعة:

الحكم الأخير الذي سنتناوله في أحكام بعد الفراق،هو الرضاعة وهذا طبعا يخص المرأة إن كانت حاملا ووضعت ولدها، وكما تبين فالحكم شرطي أي إن كانت حاملا. وأوجب الشرع على الزوج بعض الواجبات، وهذا الحكم يخص الرضاعة ،فالأم ليست ملزمة بالرضاعة حيث فسترضع له أخرى.

وعند مالك الإرضاع بنفسها إن كان فيها ألبان وكان شأنها كذلك . وأما مثل بنات الملوك فلا يلزمهن الإرضاع.

وعند الشافعي لا يلزم الزوجة الإرضاع مطلقا.

وطبعا الإرضاع يكون للولد من الزوج . قال الله تعالى «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى(6) » سورة الطلاق،« فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ » جاء الحكم بأداة الشرط وجواب الشرط

« فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ»، فإذا أرضعت فوجب على الزوج أن ينفق عليها مدة الرضاعة من مأكل ومشرب وكسوة بالمعروف، وسمي هذا بأجرة الرضاعة. وتكون هذه الأجرة بالتوافق على أجر مقدم على الإرضاع أي أجرة معلومة على قدر سعته وحالها. وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ إذا لم يقع بينكم التوافق على قدر الأجر أي تضايقتم في الإرضاع فامتنع الأب عن الأجر و امتنعت الأم عن الرضاعة، وهذا فيه معاتبة الأم على ترك الإرضاع .و المعنى فإن إمتنع الأب من دفع الأجرة للأم،وتركت الأم الولد من غير رضاعة بنفسها فيبحث الأب على مرضعة أخرى فسترضع له أخرى. و بإجماع المذاهب الخطاب وأمر الرضاعة موجه للأب . وقوله « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ»، هذه النفقة أي أجر الرضاعة فهو حسب سعة الزوج أي أجر الرضاعة واجب ولكن حسب وضعيته المالية فلا يكلف نفسه فوق طاقته والله سبحانه وتعالى لم يضيق على المعسر فقال «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا(7) » سورة الطلاق . وبشر الفقير بأن لا يقنط بل عن قريب يحول حاله إلى السعة.

وعن مدة الرضاعة جاء في سورة البقرة « وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(233) ».سورة

البقرة، فإن هذه الآيات نزلت بعد الآيات التي نزلت في سورة الطلاق والتي تناولناها، فزيادة على ما جاء في سورة الطلاق ، من إرضاع الأم ولدها ودفع لها أجرة لرضاعة ،أضيف هنا نفقة المولود وهي رزقهن وكسوتهن بالمعروف.فعدم التكليف قابل هنا لا تكلف نفس إلا وسعها مع الحرص بأن لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ...زيادة على كل هذا، جاء تحديد المدة الزمنية للرضاعة وهي حولين كاملين أي عامين أي أقصاها ، لا زيادة على ذلك فهذا حقها الشرعي ،فعند مالك هذا تقريب فالحق شهرين على الحولين، وتحديدها عند الشافعي،والمقصود من التص على الحولين، قطع النزاع بين الزوجين حيث أراد أحدهما أكثر من الحولين أو أقل والآخر حولين مثلا الزوجة تريد أكثرلإستمرار الأجرة و الزوج يريد أقل لقطعها.والزيادة على الحولين ، منعها الحكماء لما فيه توريث البلاهة للطفل.

وفي هذا الصدد، إن أراد الزوجان فطم الولد قبل إ تمام الحولين « فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» فهو جائز شرعا. وفي آخر الآية، حذر الله الزوجين من إ تقائه، ليعلما أنهما مراقبان من الله عز و جل ، وأنه سيعاقبهما إن خالفا شرعه.

إنتهى.